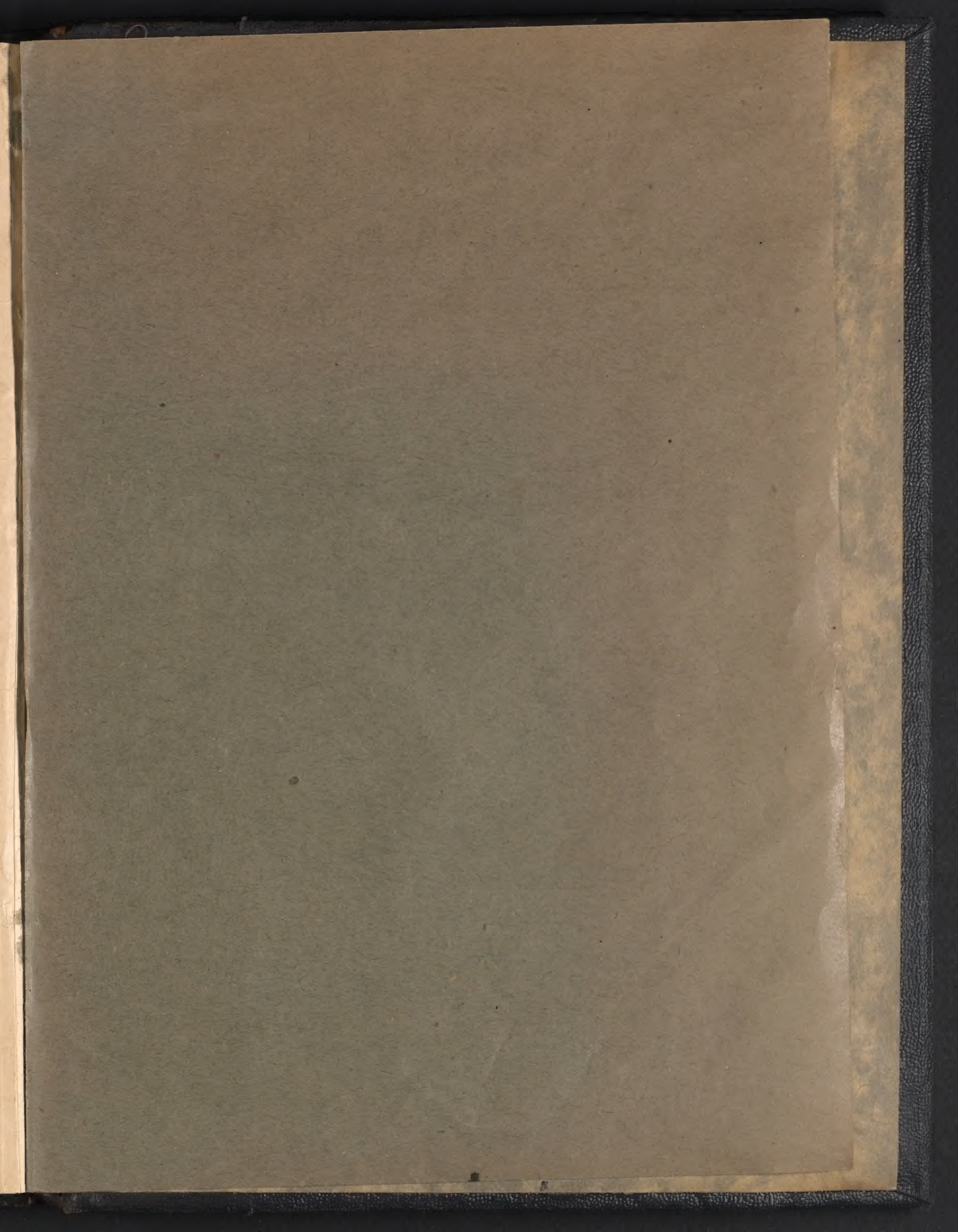

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01066 9640





سيرة

الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي

بطل الريف ورئيس جمهوريتها



تأليف : رشدي الصالح ملحس

عنيت بنشره

المطبعة السلفية - ومكتبتها

القاهرة ١٣٤٣

الى شباب الامة العربية

وفتيانه الجزيرة

أقدم هذه الرسالة

التي تتضمن صفحة خالدة من تاريخ جهاد الأمة العربية الحديث

المخلص

نابلس (فلسطين) رشدي الصالح ملحس

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعدُ فان جُرثومة الحياة الكامنةَ في أمم هذا الشرق العربيّ ، ما زالت تدل على وجودها بجهود رجالها ، وتدفع عن ذمارها بأظفار ابطالها ، مستمدّةً البقاء من تاريخ يزداد مع الزمان تألقا وبهجة ، ومن يقين تصقلة البلايا وتجلو المحنُ صدَأه . وما المعركة التى يخوض الامير محمد بن عبد الكريم الخطّابي غَمرَاتِها في هذه الايام — ومن ورائه الغُرُّ الميامينُ من شباب الرّيف وشيوخه — إلا حلقة من سلسلة الجهاد العامّ الذي ابتُلي به الناطقون بالضاد تكفيرا عن سيئة رُقاد الشرق منذ استيقظ الغرب ، وتمرينا لهم على حمل عبء المجد الذي يُعِدُّه الدهر لقوميتهم الكبرى ، يوم يفهم أبناؤها معنى الرابطة ، وسرّ الوحدة ، ويعملون لهما من سبيلي الصناعة والثقافة

ولما كان التآلف نتيجة للتعارف فقد رأى مؤلف هذا الكتاب وناشراه أن يضعوا بين أيدي قراء العربية هذا الكتيّب في التعريف بأحوال الشعب الريفيّ الباسل برّاً بالقومية العظمى والوطن الاكبر . ومن الله نرجو المثوبة

القاهرة : ذو القعدة سنة ١٣٤٣ — ادارة المطبعة السلفية

المقدمة

النضال

بين الشرق والغرب

ليس النضال القائم اليوم بين الشرق والغرب حديث العهد في التاريخ ، وليست المطامع الاشعبية التى ترنو بها الامم الغربية الى الشعوب الشرقية هى بنت بضع سنوات ،أو انها بدأت تلفت أنظار العالم بعد ماثار مصطفى كمال بطل الترك على اليونان سنة ١٩١٩ فقط . ولكن الذين يرقبون مجرى التاريخ يجدون ان هذا النزاع يرجع الى ماقبل التاريخ المدون ، وأساسها تنازع متواصل بين الغرب والشرق على السيادة والتجارة ؛ فما اسفار الفنيقيين ، وما حروب الفرس والروم ، اوحملات العرب والفرنجة ، وصراع دول أوروبا الحديثة ودول الشرق عامة والعثمانيين خاصة ، الا حلقات من سلسلة واحدة هى ذلك النضال القديم الذي عرفته شواطىء بحر الروم .

وقد تعاقبت السنون ، ومضت القرون ورحى هذا التطاحن تشتد كلما تقدم البشر ، وارتقت الحضارة والمدنية . على ان هذا النزاع قد ظهر باجلى مظاهره في عالم الوجود ، بظهور العرب في جنوب أوروبا ، يوم كانت جيوشها تحاصر قلاع القسطنطينية من الشرق ، وتتوغل فى اكتساح الاندلس من الغرب ، وبلغت أقصى شدتها يوم حادثة بلاط الشهداء (بواتية) التى تألب فيها الفرنجة على العرب لاخراجهم من أوروبا خشية من امتداد نفوذهم الى شمالها ، فاسفرت هذه الكارثة عن ارتداد العرب وتقهقرهم الى جزيرة الاندلس ، ثم استمرت المناوشات بين العرب والفرنجة ، ولما خبت نارها الى يومنا هذا . فكان الحرب سجالا بينهم ، ولم يعدم الفرنجة أسبابا يتذرعون بها غير الحرب في الاحوال التى عجزت عنها السياسة والسيف : فقد اتخذوا الامتيازات التى منحها العرب لرعاياهم الاعاجم ـ وكانت سببا لتشكيل « حكومة في حكومة » ـ واسطة للقضاء على مملكة العرب كما اتخذوا هذه الامتيازات التي اتسعت وتنوعت فيما بعد وسيلة لمحو سلطنة آل عثمان ، فجرّت هـذه ـ اي الامتيازات ـ على العرب مشاكل عظيمة ، وجرأت الشعوب الاعجمية على فكرة الثورة والاستقلال ، فكانت العرب تحارب في بدء امرها اعداءها

الذين في الخارج فقط فصارت بعد ذلك تحارب الامم التي تحكمها ايضاً محاولةً القضاء على فكرة الاستقلال ، ولكنها فشلت وقضي على ملكها بعد ان أخرجها الفرنجة من جنوب اوربا ، وقسمت ممالكها الى ممالك ودول .

ثم وجه الفرنجة عنايتهم الى سلطنة آل عثمان التي تأسست وقتئذ ، فتألبوا عليها وعملوا على تقويض ملكها بكل وسيلة فحدث من جراء ذلك حروب هائلة تقشعر لها الابدان ، كان آخرها الحرب العامة التي افضت الى اقتسامها واندثارها ، ولم يبق تحت حكمها غير بر الاناضول وهذه كانت على وشك السقوط في الهاوية لولا ان تداركها حفنة من الرجال وعلى رأسهم البطل كمال باشا فانقذوها من براثن الاستعباد وأعادوا للترك المجد والفخار

هذا ما حدث في آسيا وجنوب أوروبا وغيرها من البلدان قديماً وحديثاً . أما في افريقية فان حركة الاستعمار الحديثة فيها تمتاز عن سوابقها في تاريخ الاستعمار بأنها لم تكن مقرونه بالحروب ، بل كان أساسها المفاوضات والمعاهدات التي حددت بها نفوذ كل دولة كما أقر ذلك مؤتمر برلين [1] ، وقد جرى امتلاكها بسرعة عجيبة لم يعهد لها مثيل ، الا ان القسم الشمالي منها مافتىء منذ وطئت اقدام الاجنبي هاتيك الديار يجاهد ويكافح في سبيل حريته واستقلاله ولم يترك سلاحاً من يده حتى هذه الساعة . وكانت بلاد المغرب الاقصى في مقدمة هذه البلدان التي ما زالت تناضل عن حريتها واستقلالها بالسيف والرصاص بدون ان يثنى لشعبها عزيمة ، أو يكل ساعد ، أو يضعف ايمان وطني ، فاذا ذكرت الشعوب التي جاهدت لحفظ كيانها وقدمت أعظم الضحايا كان الشعب العربي في بلاد المغرب في طليعة تلك الشعوب التي خلدت صفحة مجيدة في تاريخها .



(١) عقد مؤتمر برلين في ١٥ نوفمبر ١٨٨٤–٢٦ فبراير ١٨٨٥ وقد نصت المادة (٣٤) من العهدة الدولية التي وضعت في هذا المؤتمر على ان كل دولة تستولى بعد ذلك التاريخ على جزء جديد من افريقية أوتجعله في منطقة نفوذها وجب عليها ان تعلن الدول الموقعة على المعاهدة بذلك ، وجاء في المادة (٣٥) ان الدول الموقعة ذات المستعمرات في سواحل افريقية مجبورة على ايجاد حكومة قوية فيها لتأمين حرية التجارة والامتيازات الممنوحة

الفصل الأول

مقدمات تاريخية

جغرافية

بلاد المغرب الأقصى

مراكش او بلاد المغرب الاقصى[1] واقعة في شمال افريقية الغربي وتحد شمالا بالبحر الابيض المتوسط ومضيق جبل طارق وغربا بالبحر الاطلانتيكي وجنوباً بالصحراء الكبرى ، وشرقاً بالجزائر ، وهي معروفة لدي الفرنجة باسم Maroc

وتبلغ مساحتها (٨٠٠) الف كيلو متر مربع (أى نحو نصف مساحة القطر المصري) وعدد سكانها بحسب الاحصاآت الاخيرة اثنى عشر مليون نسمة ، وهم من الجنس السامي ويسمون (المغاربة)[2] ولغتهم العربية والبربرية ودينهم الاسلام .

وفي هذه البلاد جبال عالية وهي شعب من سلسلة جبال الاطلس ، ومن شوامخها : وغمارة ، ومديونة وجبالا وغيرها .

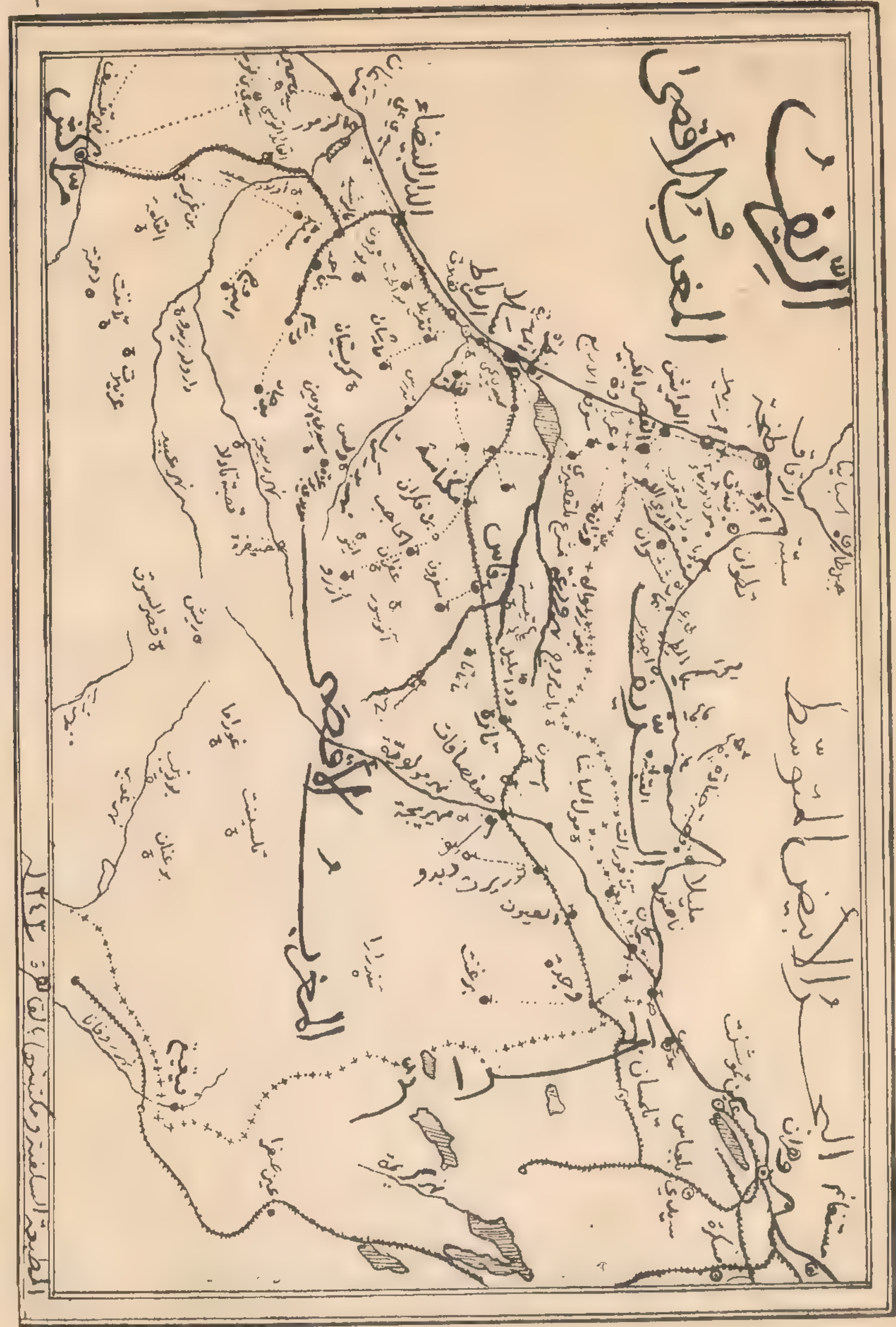
وتجري في هذه البلاد أنهار كثيرة أشهرها : ملوية ، وسيبو ، وام الربيعة ، ووادي ورغة ، والمخازن والتنصيف ، واللقس ، والفلفل .

وهواء هـذه البلاد معتدل وتربتها خصبة جيدة . وأشهر حاصلاتها الحبوب والفواكه والزيتون ، وفي كثير من وديانها وجبالها معادن ومناجم جمة .

---

(١) قسم العرب بلاد المغرب ، وهى الاقاليم الافريقية المجاورة للبحر الابيض المتوسط ، الى ثلاثة اقسام : الاول المغرب الاقصى وهو من البحر الاطلانتيكي الى تلمسان ، الثانى المغرب الاوسط وهو من تلمسان الى برقة ، ويقال لهذين القسمين (بالعدوة) لانه يعدى من فرضها الى بلاد الاندلس ، والثالث المغرب الادنى او الشرقي وهو من برقة الى حدود مصر

(٢) اول من اطلق اسم المغاربة على سكان هذه البلاد هم الفنيقيون حيث عرفوهم باسم (ما حوديم) او (مغاديم) ومعناه المغاربة ، ولما احتل الرومانيون هذه البلاد حرفوا هذا الاسم فسموا شعبها (مأوري) والبلاد (مأوريتانيه)


البحر الأبيض المتوسط
الرباط
فاس
تازة
وجدة
وهران

ومن مصنوعاتها دباغة الجلود وصناعة السجاجيد ونسج الاقمشة الصوفية . وقد اشتهرت مراكش بالنقش في الجص على ظواهر الحيطان المسماة بنقش حديدة . ولما فتح معرض باريس سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨) أرسل اليه مولاي الحسن بن محمد داراً من خشب على هيئة ديار فاس من هذا النقش ومفروشة فرشاً مغربياً ، فكانت هذه الدار قبلة المتفرجين .

أما تقسيماتها الادارية فهي تقسم اليوم الى منطقتين : احداهما خاضعة للحماية الافرنسية وتسمى مراكش وهي الواقعة جنوب نهر اللقس ، ومن أشهر مدنها فاس ومراكش والرباط واغادير ومغادور والدار البيضاء والجديدة .

والمنطقة الثانية الخاضعة للنفوذ الاسباني وتحد شمالا بالبحر الابيض المتوسط وشرقاً بالجزائر وغرباً بالبحر الاطلانتيكي وجنوباً نهر اللقس حتى ثغر العرايش . وهي قسمان : الاول البلاد الخاضعة لسلطة الرسولي وتسمى (جبالة) وعاصمتها (تازروت) ، والقسم الثاني وهو واقع تحت سلطة الامير ابن عبد الكريم ويسمى (الريف) وعاصمته (أجدر) [1] .

وأشهر مدن القسم الاول تطوان ، وسبته ، وطنجة ، وأزيلا ، والعرايش ، والقصر الكبير ، والشاون . واشهر مدن القسم الثانى : مليلة ، وأجدر ، والمطير

---

(١) بين المنطقتين مربع قائم بين نهر تطوان والبحر ووادي اللو وطريق تطوان ـ الشاون تقطن فيه قبائل كثيرة لم تكن خاضعة لواحد من هذين الزعيمين

تاريخ المغرب

﴿ تمهيد ﴾

تاريخ المغرب الاقصى حافل بالعظائم من الاعمال التي تشهد للمغاربة بالبطولة والفروسية ، وحب الاستقلال والحرية ، شأنهم شأن الشعوب العربية الاخرى لا ينامون على ضيم ، ولا يسكتون عن مذله . وما فتئوا منذ العصور التاريخية القديمة يجاهدون فى سبيل استقلالهم ويذودون عن أوطانهم دون أن ينى لهم ساعدا و يكل عضد ، فكان لهم في كل أدوار حياتهم كيان سياسي مستقل ومدنية مجيدة بارزة ، حتى في أشد أدوار فقرهم وضعفهم، فلا عجب اذا رأيناهم اليوم ينشطون للذب عن حياض أوطانهم والكفاح عن حريتها واستقلالها ، ويناصبون دولة قوية العداء ويدحرونها الى البحر وهم يتسلحون بقوة الايمان وصدق العزيمة فحسب ، لان ذلك من شأن النفوس الابية التي تأبى الخنوع وتنفر من الاستعباد

١ — العهد القديم

كانت افريقية الشمالية وهي المعروفة ببلاد المغرب يقطنها منذ القدم قوم يسمون (البربر) وهم مع تشعب قبائلهم وكثرتها يرجعون الى أصول ثلاثة: صنهاجة ، وكتامة ، وزناته . واختلف المؤرخون في منشأهم وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، وأورد كل فريق حججه وبراهينه ولكن الرأي الاخير الراجح هو ما اثبته المؤرخ الاميركي (جمس هنري بريستيد) من انهم عرب ساميون هبطوا اليها عن طريق مصر[1] من قبل زمن التاريخ . وهذا رأى الجمهور من مؤرخى

---

(١) قال الفيلسوف رضا توفيق بك الوزير العثماني السابق ونزيل عمان اليوم في رسالته (قضية النفوس والمجتمع العربى) بعدان ذكر اعتمادا على احدث المولفات التاريخية المعول عليها ان وطن الساميين الاصلى هو البقعة الهلالية العراق والجزيرة (ما بين النهرين) وسوريا (ومنها فلسطين) التي هي جزء متمم لجزيرة العرب : « ان أقدم المهاجرات السامية التى وصل الى تحقيقها العلماء هى ما اثبته المؤرخ الاميركى (جمس هنري بريستيد) من انه قبل زمن التاريخ هاجرت جماعات عظمية من البقعة الهلالية الشرقية فتمشت غربا حتى هبطت مصر بطريق سينا والسويس فاقام بعضها فى هذا القطر وعمره وهؤلاء هم اصل الشعب المصري القديم ومؤسسو الحضارة المصرية ثم مشى قسم آخر منهم الى بلاد الحبشة فاستوطنها ، وظل القسم الثالث يتنقل فى افريقية الشمالية قروناً عديدة وقد استقرت منه جماعات هنا وهناك وهنالك ووصل بعضها شواطىء الاطلانتيقي . ومما يؤيد رأي الدكتور هو ما ذكره المرحوم كمال باشا الأثري المصري اعتمادا على النقوش القديمة المحفورة على جدران معبد الدير البحري ان اجداد المصريين القدماء يدعون (الاعناء) جمع (عنو) ولغتهم كانت العربية ، وان فريقا منهم المسمى (باعناء التحنو) او اللوبيين هاجروا الى البلاد المعروفة اليوم باسم بلاد المغرب

العرب . ولما شاد الفنيقيون ـ وهم عرب ساميون أيضا ـ دولتهم البحرية العظيمة قبضوا على أزمة البلاد الافريقية الشمالية واستعمروها كما استعمروا القسم الجنوبي من اسبانيا ، وعلى أثر ذلك هاجر جماعات من صور عاصمة الفينقيين الى هذه البلاد فاستوطنوها ثم بنوا بلدة (قرطاجنة) ذات المجد الباذخ التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم وأسسوا دولة عظيمة تعرف بالدولة القرطاجنية عظمت شوكتها وقوى نفوذها وبسطت سلطانها على بلاد المغرب واسبانيا ، وقد دامت هذه الدولة مدة من الزمن كانت خلالها البلاد الخاضعة لها ترتع في بحبوحة من المدنية والعمران واليها يرجع الفضل في حضارة أوربا القديمة ، ثم أغار الرومان عليها فابادوها وألحقوا بلاد المغرب بمملكتهم ، ومنذ ذلك الحين الى أواسط القرن الخامس الميلادي أصبحت ولاية رومانية . ولما تغلبت القبائل الجرمانية على روما هبط (الوندال) الى افريقية وافتتحوها ، ولم يكن لامبراطور الروم من سلطة فعلية عليها في ذلك العهد كما انه لم تكن للوندال بها حكومات ثابتة الدعائم

وفي أوائل القرن السادس للميلاد اجلى (يوستينيان) امبراطور الدولة الرومانية الشرقية الوندال عن افريقية فعادت الى سلطان الدولة الرومانية الشرقية ، وظلت منذ ذلك الوقت ولاية رومانية الى أن افتتحها العرب

٢ — العهد العربي

بعد ان تولى معاوية بن أبي سفيان عرش بني امية وجه عنايته الى اتمام فتح افريقية وكانت الجيوش العربية قد غزتها مرتين قبل ذلك [1] فاوفد اليها سنة ٤٥ معاوية بن خديج وفي سنة ٥٠ عقبة بن نافع بجيوش جرارة تمكنت من التوغل الى سواحل المحيط الاطلانتيكي وأبادت جيوش الروم، ثم بنى قلعة قيروان وأقام حاكما في افريقية حتى ثار البربر سنة ٦٥ بزعامة امير منهم يسمى (كسيله) وحاصروا قلعة القيروان فقتل عقبة مدافعا عنها وكادت أن تذهب بوفاته دولة العرب في افريقية ولكن عبد الملك بن مروان صمم على استعادتها فأرسل جيوشا كبيرة كسرت الروم والبربر شر كسرة واستعاد العرب سلطانهم على بلاد المغرب .

وفى ذلك الحين اجتمع البربر تحت لواء امرأة تعرف (بالكاهنة دهياء) وهى من قبائل زناته وانقضوا على الجيش العربي فارتد الى برقة ، وبسطت الكاهنة سيادتها على بلاد المغرب مدى خمسة أعوام حيث أرسل عبد الملك مدداً للجيش العربى فاغار عليها وقتلها فى الاجم بعد

(١) في سنتي ٢١ و ٢٦ هـ

مقاومة عنيفة . فاضطر البربر الى عقد الصلح ، ثم ولي موسى بن نصير ولاية افريقية فاستولى على (طنجة) آخر معاقل البربر وطهر المغرب من العصاة والثوار ثم أغزى مولاه طارق بن زياد والليثى حاكم طنجة الاندلس فافتتحها ولحق هو به فـكمل فتحها وألحق هذه البلاد التى كانت في ذاتها ملـكا ضخما ودولة عظيمة بعامل افريقية

وقد تولى مقاطعة المغرب ولاة عديدون من قبل الامويين والعباسيين ، عملوا على انعاشها وتمدينها ، فأسسوا المؤسسات والمعاهد ، ونشروا العلم والصناعة وغير ذلك من الاعمال العظيمة التى لا تزال ناطقه بفضل العرب حتى اليوم ، كما أن هذه البلاد كانت مركزاً حربياً عظيما يعتمد عليه الخلفاء فى غزواتهم البرية والبحرية ، ففى القيروان ـ حيث كانت دار الصناعه البحرية — تجتمع الاساطيل وتحتشد الجيوش ، ومنها تسافر الى الجزر وسواحل أوربا للغزو والفتح .

ولـكن وقائع الخوارج فى افريقية ، وظهور القلاقل وتعكر صفو الامن فيها واضطراب حالتها التجارية جعل دخلها المالى لا يوازى نفقاتها ، لما تتطلبه القلاقل من جيوش واعتاد ، فكانت مصر تدفع من خزينتها مائة ألف دينار سنويا الى خزينة المغرب لسد هذا العجز .

ولما اعيت الحيلة دار الخلافة ورأت ان الحالة في المغرب تزداد سوءاً بحيث لا يرجى رتقها منحها هارون الرشيد سنة ١٨٤ هـ ٨٠٠ م اللامركزية الواسعة وعهد بأمارتها الى ابراهيم بن الاغلب ولاعقابه من بعده على ان يترك المئة الف دينار التى كانت ترسل من مصر الى المغرب وعلى ان يتحمل هو من بلاد المغرب اربعين الفاً سنويا

٣ ـ عهد الاستقلال

بقى ابن الاغلب وآله محافظين على ولائهم للعباسيين يخطبون على المنابر باسم خلفاء بغداد ويأتمرون بأمرهم ويعملون على اخضاع البلاد الثائرة عليهم ، ولذلك لا يمكننا ان نعد امارة بنى الاغلب مبدأ لاستقلال المغرب وانفصاله عن مركز الخلافة ، وانما التاريخ الحقيقى لهذا العهد ـ عهد الاستقلال ـ هو يوم ظهور ادريس بن عبد الله من احفاد الحسين عليه السلام في وليلى بمراكش سنة ١٧٢ (٧٨٨ م) .

الدولة الادريسية : ١٧٢ ـ ٣٧٥ هـ (٧٨٨ ـ ٩٨٥ م) . على أثر فتك الخليفة العباسى الهادى بن المهدى بالحسين بن على من آل على بن أبى طالب كرم الله وجهه فرعمه ادريس بن عبد الله

الى مصر فبلاد المغرب واستقر في مراكش، فتجمعت حوله قبائل البربر وبايعته بعدان خلعت عصا الطاعة للعباسيين ، وقويت شوكته واسس فى بلاد المغرب دولة تنسب اليه ، كان من امرها ان بسطت سلطانها على المغرب الاقصى والاوسط واقامت فى هاته الديار مدنية زاهرة . وعمراناً عظيماً ، وقد اشتهر من أمراء هذا البيت يحيى الثالث ابن ادريس بمقدرته وعلمه ، فكان اعلاهم قدراً وأبعدهم ذكراً واكثرهم عدلا وفضلا . ولكن عباب الفاطميين طمي على ملكه فاغرقه ، واندرجت دولة الادارسة فى دولتهم فاصبح امراؤها عمالا خاضعين لدار السلطنة الفاطمية .

ولما رأى عبد الرحمن الناصر ان الدعوة الفاطمية اجتاحت افريقية الى شواطيء الاطلانتيك وأخذت تهدد الاندلس ، اجتاز البحر بجيش جرار الى سبتة واخضع القسم الغربى من المغرب الاقصى لسلطانه وبقى القسم الآخر تحت نفوذ الفاطميين .

ثم توالى الغزو من الطرفين عليها فكانت تخضع تارة للفاطميين وآونة للامويين الى ان قتل الحسن بن كنون سنة ٣٧٥ . وبقتله انقرضت دولة الادارسة [1] ودخلت فى حوزة الامويين فاختار المنصور عندئذ لادارتها زيرى بن عطية زعيم مغراوة أشد قبائل البربر بأساً .

الدولة المغراوية : بعد وفاة زيرى المذكور خلفه ابنه المعز على ولاية المغرب ، فلبث هذا فى طاعة الامويين ينشر دعوتهم ويوطد سلطانهم فيها حتى اضطرب حبل الخلافة بالاندلس سنة ٤١٧ فقطع وقتئذ ذكرهم من الخطبة وطرد عمالهم واعلن استقلاله ، وتولى الملك بعده خمسة من سلالته الى ان استفحل امر المرابطين سنة ٤٦٢ حيث قضوا على ملك بنى مغراوة وحلوا مكانهم على عرش المغرب .

دولة المرابطين : نشأت هذه الدولة فى جبال البربر عام ٤٥٠ ، فأخذ اميرها أبو بكر بن عمر يجاهد فى سبيل الله وتوطيد الأمن في اصقاع المغرب ، وجاء بعده امراء ساروا على خطته وعظم نفوذهم وكان لهم خدمة جلى في نشر النفوذ العربى وقطع دابر الفساد

واشهر هؤلاء الامير يوسف بن تاشفين ، فقد امتد سلطانه على بلاد المغرب كلها من حدود مصر الى سواحل المحيط الاطلانتيكى ، وبنى مدينة مراكش واتخذها عاصمة لملكه ، وقطع خطبة الفاطميين ، وخطب للعباسيين فوجه عليه الخليفة العباسى المقتدي لقب (امير المسلمين)

---

(١) الى هذه الاسرة الكريمة ينتسب السيد الادريسى صاحب عسير في اليمن والسيد السنوسي زعيم برقة وطرابلس . وعلى رواية ان الاخير يمت بنسبه الى اسرة الخطابي

وقد عظم نفوذه حتى استغاث به العرب في الاندلس فعبرها عام ٤٧٩ وصدم جيش الفرنجة فى موقع (زلاقة) فهزمه هزيمة شنعاء ، ثم محا ملوك الطوائف وبسط نفوذه على اكثر امارات الاندلس ، مما افضى الى انتعاش العرب فى الاندلس حيناً من الدهر .

وسار ابنه الامير علي على قدم والده فى بسط سلطان المرابطين ودفع غارات الافرنج فاسترد منهم مواقع كثيرة

وفي عهد الاميرعلي ظهرت فئة فى جبال المصادمة تدعي بالموحدين يقودها محمد بن تومرت ، ما لبثت ان اشتدت قوتها وعظمت شوكتها فى البلاد . ثم قتل دعاتها الامير اسحاق آخر امراء المرابطين سنة ٥٤٢ وبموته انقرضت دولة المرابطين بعد ان لبثت قرنا ونيفاً .

دولة الموحدين : خلف ابن تومرت فى الحكم احد مريديه عبد المؤمن بن على ، فكان حازماً عاقلا طموحاً تلقب بلقب (أمير المؤمنين) وابطل خطبة العباسيين وعمل على بسط نفوذه في بلاد المغرب كلها وسير حملة برية وبحرية الى الاندلس وصدم جيوش الافرنج وبسط سلطانه على اكثر الامارات العربية الباقية فيها فاصبحت بلاد الاندلس كلها خاضعة له

وقد قام عبد المؤمن بعمل عظيم في بلاده لم يسبقه اليه احد في المغرب وهو مسح الاراضى وتخطيطها ووضع الخراج عليها وفاقاً لمساحتها . واحدث الالعاب الرياضية ومنها الكشافة فى المدارس وعنه اقتبسها الفرنجة [١] .

ومن الموحدين الذين اشتهروا أمير المؤمنين المنصور بالله فقد كان ذا حزم وسياسة ، جاهد في الافرنج بالاندلس جهاداً عظيما وهزمهم مرات كثيرة أشهرها في موقعة (آلارك) ، فذاع صيته واسمه حتى ان السلطان صلاح الدين الايوبي طلب منه المعونة لدفع غارات الافرنج عن بيت المقدس ، وقد زهت البلاد في زمنه بالعلوم والعمران ، وأحدثت المعاهد الخيرية والمستشفيات ودور العجزة والمدارس ، واسس مرصدا في مدينة (اشبيلية) بالاندلس . ونبغ كثير من رجال

(١) ذكر ضيا باشا الوزير التركى في كتابه (تاريخ الاندلس) وأيده (لوتير فياردو) فى مؤلفه (العرب ومغاربة الاندلس) ان عقبة بن الحجاج والى الاندلس (عام ١١٦ - ١٢٣ هـ) أنشأ طائفة من الدرك الفرسان أعدها لقطع دابر المفسدين وتوطيد الأمن في البلاد سماها بالكاشف أو الكشافة .

ولما اجتاز عبد المؤمن الاندلس وشاهد نظام الكاشف هذا اعجب به ايما اعجاب ، وعند عودته الى المغرب الاقصى أسس المدارس وأحدث فيها الالعاب الرياضية كما ذكر ضيا باشا ، ومنها الكشافة بعد ان قلب نظامها من قطع دابر المفسدين الى نشر الفضيلة وقمع الرذيلة .

العرب وفلاسفتهم ، كابن زهر وابن باجة وابن رشد وابن حزم وابن الطفيل

وأصبحت بلاده تعج بالمهاجرين من العرب والمسلمين ، ومن أشهر القبائل التي هاجرت اليها قبائل بني هلال العربية الشهيرة .

وبعد وفاته أخذ الوهن يتسرب الى الدولة ونفوذها فقامت الثورات الداخلية التي أدت الى استقلال بعض الامراء في المغرب والاندلس ، فبلغت مدة حكمها نحو قرن ونيف الى أن قضى عليها بنو مرين .

الدولة المرينية : على أثر انهزام جيوش الموحدين في وقعة العقاب بالاندلس وتضعضع حكمهم في بلاد المغرب ثار أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني في مراكش وأعلن استقلاله فيها فسميت دولته (الدولة المرينية) وقد أخضعت لحكمها المغرب الاقصى والاوسط واستعان العرب في الاندلس بالمنصور بالله يعقوب اشهر امراء بني مرين فأجاز الاندلس مراراً وحدثت بينه وبين الافرنج عدة وقائع كان النصر فيها حليفه ، فهابته الافرنج وطلبت مودته . وقد قطع خطبة بني حفص وخطب لنفسه وتلقب المنصور بالله وشيد مدينة (الدار البيضاء) . وسار خلفه يوسف على خطة والده فحارب الافرنج وأنشأ الاساطيل وأسس المدارس والمعاهد وبنى جامع تازا المشهور وعلق به الثريا الكبرى التي بلغ وزنها اثنين وثلاثين قنطارا من النحاس الخالص وعدد كؤوسها ٥١٤ كأساً

ومن مشاهير هذه الاسرة السلطان أبو الحسن فقد كان أبعد ملوكها صيتا وأكثرهم آثاراً بالمغربين والاندلس ، ففي عهده عم العدل ، وانفتحت للناس أبواب المعايش والترف ، واستبحر العمران ، وظهرت المدنية بأكمل معانيها .

ولما ضعف شأن هذه الدولة استولى البرتقال على سبتة وطنجة ، واختل الامن وتوقف دولاب العمل ، فأدى ذلك الى الثورات والفتك بالسلطان عبد الحق بن أبي سعيد سنة ٨٦٩ وبقتله انقرضت هذه الدولة ، وقد كانت البلاد في عهدهم وصلت الى اوج عزها ، واشتهر من سلاطينهم أبو سعيد عثمان وأبو فارس عبد العزيز والامير علي بالعلم والادب ونبغ في عصرهم علماء فطاحل امثال خلدون وابن الخطيب وابن بطوطة وابن البناء الرياضي وغيرهم

الدولة الوطاسية : بنو وطاس فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبد الحق وقد استخدمهم هؤلاء في وجوه الولايات والوزارة ، ولكن تضعضع ادارة اسرة عبد الحق في آخر

عهدهم اطمع أبا عبد الله محمد الوطاس بالملك ، فثار على بني عمه وتفاقم خطبه فدانت له البلاد وتبوأ عرش المغرب . وفي عهد مؤسسها هذا وقعت كارثة الاندلس العظمى باستيلاء الاسبان عليها فتوافد آخر بني الاحمر أبو عبد الله الصغير ومئات الالوف من المسلمين الى المغرب يحملون تذكاراً يحوي ولا جرم في مطاويه أجل العظات ، وأعظم التذكارات [1] . فاقتطع لهم سلطانها مليلة وتطوان وسلا وضواحيها ، وهذه البلاد هي واقعة في منطقة الريف الشرقي الخاضعة للأمير ابن عبد الكريم زعيم الثورة اليوم ، واستوطن الملك أبو عبد الله فاساً فأقام فيها الى أن وافاه الاجل المحتوم ، فكان أيام هذه الدولة الوطاسية أيام نحس وعزاء وضعف وشغب ، فطمع الفرنجة بملكها فاستولى البرتقال على أزيلا وأسفى وآزمود وغيرها من الثغور ، وحدثت فتن وثورات في الداخل اودت بحياتها .

الدولة السعدية : قامت هذه الدولة بزعامة أبي عبد الله محمد على أثر فشل الوطاسيين وعجزهم عن صد هجمات البرتقال فالتف الشعب حوله واشتدت شوكته وجاهد هو وخلفاؤه بالبرتقال جهاداً عظيما كان النصر حليفه في أكثر الوقائع : فانسحب الفرنجة عن بعض الثغور التي كانوا استولوا عليها ، ثم عاود البرتقال الكرة على بلاد المغرب فحدثت معركة كبرى في وادي المخازن اسفرت عن انكسار جيوش البرتقال وقتل مليكهم

وقد اشتهر من السعدية السلطان منصور باقدامه وشجاعته وحسن تدبيره ، وبلغت الدولة في أيامه الى أعلا درجات القوة والعظمة ودانت له الصحراء والسوداذ حتى تنبكتو ، وعم في عهده الرخاء وانتشرت المدارس وشيد آثاراً عظيمة أعظمها قصر البديع في مراكش

وفي أواسط القرن الحادى عشر للهجرة وقع الشقاق بين الاسرة المالكة فقضى عليها

الدولة الفيلالية أو الحسنية : لما شعر المغاربة بغبة الحالة التي نتجت عن تطاحن الاسرة

---

(١) حدثنا الشهيد عبدالغني العريسي انه اجتمع في باريس سنة ١٩١٢ فتى مغربي من سلالة بني الاحمر يحمل في حزامه مفتاح قصر الحمراء بغرناطة ، وروى الاستاذان السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشق وأحمد باشا زكي البحاثه المشهور ان كثيرين من جالية الاندلس في بلاد المغرب ما برحوا الى اليوم يخلف الوالد منهم لبنيه في جملة مخلفاته مفاتيح داره في الاندلس على أمل أن يعود أولاده اليها ذات يوم ويفتحوها وينزلوها . وأيدت ذلك جريدة (دوتشيه الجمينه تسايتونغ) الالمانية في عددها الصادر بتاريخ سبتمبر ١٩٢٤ حيث قالت : وانه لذو شأن رمزي ان كثيرا من البيوت المراكشية تحتفظ بمفاتيح كثير من القصور القديمة القائمة في طليطلة وقرطبة وغرناطة كانما من كانوا يوماً أربابها سيعودون الى سكناها وتعود اليهم أملاكهم المفقودة . اهـ

السعدية ، بايعوا (مولاي علي الحسني) ـ الذي كان قدم في بدء القرن الحادي عشر مهاجرا من الحجاز واستوطن في تافيلات ـ بالملك فاعتلى عرش الدولة الفيلالية أو الحسنية التي لا تزال تحكم المغرب الى يومنا هذا ، ولما توفى خلفه ابنه (مولاي رشيد) فمولاي اسماعيل الكبير أشهر سلاطين هذه الاسرة الشريفة ، فقد كان سياسيا ماهرا وشجاعا مقداماً ، دانت لحكمه المغرب الاقصى والسودان ، وطرد الانكليز من (طنجة) والاسبان من (العرايش والمهدية) والبرتقال من أزيلا ، فهابته الملوك ، وخشيته الدول فطلبت وده وصداقته حتى انه طلب الزواج مرة بابنة لويس الرابع عشر .

وفى عهد مولاي محمد بن عبد الله غنم قرصان البحر مركبا فرنسوياً أتوا به الى العرائش ، فهاجمها الاسطول الفرنساوي ورماها بمدافعه ، ولكنه عاد خاسرا ، وطردت جيوش المغرب البرتقال من مدينة (الجديده) التي كانوا استولوا عليها قبل مدة .

وفي هذه الاثناء وقع نزاع بين امراء العائلة المالكة كاد يقضى على عرشها لولا ان تداركها (مولاي سليمان) بحكمته ودرايته فأزال هذه المشادة وسوى الخلاف وأعاد للمملكة عزها ومجدها وساد الأمن وعم العدل في البلاد . ومنع القرصان فأحبته أوربا وصادقته دولها حتى انه أرسل سفيراً الى نابليون الاول انبراطور فرنسا ، واستحكمت حلقاتها حتى أيام مولاى محمد فقد كانت بينه وبين نابليون الثالث مخابرات ودية كثر على أثرها قدوم التجار الفرنساويين الى المغرب فمنحهم مولاى محمد وغيرهم من الفرنجة واليهود امتيازات دينية وتجارية ، كانت هذه سببا غير مباشر لطامع الفرنسيس في مراكش

ولما جلس مولاى عبد العزيز على عرش المغرب تحفزت فرنسا لبسط نفوذها على هذه البلاد ، فكانت انكلترا واقفة لها بالمرصاد خشية من اقترابها الى جبل طارق ، ولما حل عام ١٩٠٤ جرت مذاكرات بين انكلترا وفرانسا أسفرت عن توقيع عهدة في ٨ ابريل نصت المادة الاولى منها على تنازل فرانسا عن حقوقها في مصر لأنكلترا ، والمادة الثانية على ان فرانسا لاترغب في اجراء تبديل الحالة السياسية في مراكش ، وان بريطانيا تعترف بأنه من شأن فرنسا أن تسهر على سلامة تلك البلاد (أى مراكش) وان تقدم لها جميع ماتحتاج اليه من المساعدات الأدارية والاقتصادية والمالية والاصلاحات العسكرية ، وأنها ـ أى بريطانيا ـ لاتمانع في بسط نفوذ فرنسا على مراكش بشرط المحافظة على حقوقها وامتيازاتها

وفي شهر اكتوبر من السنة نفسها عقد اتفاق بين فرنسا واسبانيا حددت فيه مصالحهما في مراكش ، فأحدث ذلك ضجة كبرى في الاندية الالمانية ، واعتبرته الحكومة الالمانية عملا مغايراً لنصوص عهدة برلين ، وسافر على الاثر الانبراطور غليوم الى طنجة وصرح هناك بأنه قادم لزيارة سلطان مراكش المستقل الذي ينظر الى حقوق الدول وامتيازاتها بنظر المساواة ، وطلب وضع المسألة المراكشية على بساط البحث ، فاذعنت فرنسا حينذاك ووافقت على عقد مؤتمر دولى عام لوضع حد نهائي لهذه المشكلة ، فعقد المؤتمر في الجزيرة ـ احدى مدن الاسبان ـ حضره مندوبو الدول جميعها، ووضع في ٧ ابريل ١٩٠٦ عهدة تحتوى على ١٢٣ مادة جاء فيها:

١ — الاعتراف باستقلال السلطان

٢ — المحافظة على كيان المملكة المراكشية تحت حماية فرنسا

٣ — الحرية التجارية للدول الموقعة وغيرها من المسائل .

على ان المراكشيين رفضوا الخضوع لمقررات المؤتمر ، فقامت ثورة بزعامة الرسولى ارسلت فرنسا على أثرها قوة لاخمادها ، واحتلت العوجاء والدار البيضاء والشاوية ، وجاءت اسبانيا على الاثر فحشدت قوات فى مليلة وسبتة ، فازداد اذ ذاك شغب المغاربة ، فخلعوا السلطان عبد العزيز عن كرسى المملكة وولوا مكانه مولاى عبد الحفيظ . فاعادت المانيا اعتراضها بكل شدة وجرت مذاكرات بين مندوبى فرنسا وألمانيا للاتفاق فلم تسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي مارس سنة ١٩١١ هاجمت القبائل مدينة فاس ، فاستنجد السلطان بالجنود الافرنسية ، فارسلت فرنسا قوة لحماية السلطان احتلت في شهر مايو فاس ، وفى الوقت نفسه احتلت الجنود الاسبانية العرايش ، فعدت المانيا هذا العمل مغايراً لاتفاقية الجزيرة ، وارسلت اسطولها الى (أغادير) وعقد على اثرها مؤتمر في الجزيرة يوم ٤ نوفمبر ١٩١١ اعترفت بموجبها ألمانيا :

١ — بحماية فرنسا على مراكش لقاء تنازلها لالمانيا عن ٢٧٥٠٠ كيلو متر فى الكونغو .

٢ — ان تحتل فرنسا أى مقاطعة في مراكش تراها مناسبة لحفظ الامن ،

٣ — ان تمثل فرنسا السلطان بأموره الخارجية .

٤ — حرية التجارة فى هذه البلاد .

وبعد انفضاض المؤتمر وقعت معاهدة يوم ١٢ مارس ١٩١٢ بين مراكش وفرنسا اعترف سلطان المغرب بموجبها ان بلاده دخلت تحت حماية فرنسا ، فثار الاهلون على الاوربيين فى فاس

وقتلوا ٦٨ منهم فبعثت فرنسا بالجنرال ليوتى لاخماد الثورة ، وحدثت بينه و بين المغاربة معارك انتهت بفشلهم وتنازل مولاى عبدالحفيظ عن العرش ، فتبوأ مكانه مولاى يوسف السلطان الحالى

وكانت اسبانيا تدعي حق الحماية على جانب من المغرب الاقصى فاتفقت هي وفرنسا في نوفمبر من تلك السنة على تحديد مصالحهما ونصيب كل منهما من تلك البلاد .

ثم حدثت ثورات عديدة فى الحرب العامة وبعدها يطلع عليها القارىء في الفصول التالية .

اسبانيا والمغرب

قد يظن السواد الاعظم ان الحرب التى نشبت بين اسبانيا ومراكش قد بدأت منذ اقتسام اسبانيا وفرنسا للمغرب الاقصى أو أنها وليدة الحرب العامة التى هزت نفوس الشعوب والامم وأزالت الغشاء عن نيات المستعمرين ، فوقع الاصطدام بين المستعمر (بالفتح) والمستعمر ولكن الذين يتعقبون مجرى الامور في هذه البلاد يجدون أن النضال بين الاسبانيين والمغاربة قديم جداً يرجع الى القرون الاولى من التاريخ ، وذلك لان الطبيعة التى اوجدت هاتين المملكتين متاخمتين لا يفصل بينهما الا بحر الزقاق الذي يتراءى الساحل منه قد كونت من المغاربة جسراً للفاتحين والمستعمرين يجتازونه الى برالعدوة الاوربية — أي الاندلس — وقد ذكرلنا التاريخ أن جيوش الفنيقيين والقرطاجنيين التي هاجت الاسبان فى عقر دارهم واستعمرت القسم الجنوبى منها كانت من المغاربة ، كما انهم كانوا عضد موسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرهما القوي وسلاحهم القاطع فى فتوحاتهم العظيمة الاسبانية وتشييدهم لبنيان الدولة العربية

ولما تمزقت الوحدة وتشعبت الكلمة في الاندلس وصار الامر الى ملوك الطوائف فاستأسد الفرنجة استصرخ الاندلسيون اخوانهم من وراء البحر فوافاهم مدد المرابطين وأجاز يوسف ابن تاشفين وأعقابه الى الاندلس بجيوشه فردوا عادية الفرنجة واسترجعوا كثيراً من البلدان .

ولما قامت دولة الموحدين اقتدى عبد المؤمن بسلفه فى الجهاد واعمل السيف فى رقاب الاعداء فرد كيدهم فى نحرهم

وكذلك نفر من بعد هؤلاء بنو حفص ومرين فامدوا اخوانهم فى الاندلس بالمال والرجال وهكذا دواليك فكانت الاجازة والجهاد اذ ذاك شان ذوي القرابة من ملوك المغرب فامتلأت

الاندلس باقيال القبائل والامراء من المغاربة

ولما وقعت الكارثة الكبرى التي أفضت الى جلاء العرب عن الاندلس سنة ٨٩٧(١٤٩٢) وانقلاب فلولها مرتدة الى مراكش، اعتزم ملوك الكاثوليك — وهو اللقب الرسمي لملوك الاسبان — ملاحقة هذه الفلول والتبسط فيما وراء جبل طارق، فوضعوا خطة للاستيلاء على بلاد المغرب حتى تخوم مصر، فانقلبت الحرب بين اسبانيا والمغرب من ذاك الحين الى دفاعية من الجانب الافريقى بعد أن كانت هجومية. ولكن مناجم اميركا وثروتها استهوت الاسبان. فصرفوا النظر موقتا عن المغرب واكتفوا بالنزول فى بعض الثغور كمليلة وسبتة بعد أن صالحوا قبائل مراكش وعقدوا معاهدة مع سلطانها

وفى أوائل القرن العاشر للهجرة خرج خير الدين باشا بربروس واخوه (أوروج) غازيين فى البحر وحاصرا تلمسان فاستغاث صاحبها بشارلكان ملك اسپانيا فامده بقوة عظيمة، ولكنه غلب على أمره فانقلب خاسراً

ثم حاول الاسبان امتلاك المغرب الاوسط والادنى وجردوا حملات متتالية لغزوها، فكان خير الدين بربروس يتصدى لهم بمساعدة سكانها من المغاربة وحدثت بينهما حروب عديدة كانت سجالا الى أن تمكن بربروس من طردهم نهائيا فاستولى على المغربين وألحقهما بملك آل عثمان

وفي أواخر القرن العاشر للهجرة (١٦٠١) انضم الكثير من مهاجرى عرب الاندلس الى القرصان للانتقام من الاسبان، فتوالت هجماتهم على ساحل الاندلس وتفاقم خطبهم، فوجه الملك فيليب اذ ذاك قوته الى اضطهاد البقية الباقية من عرب الاندلس فقام هؤلاء بثورة عظيمة كادت تسفر عن استرداد الاندلس من الاسبان [1] ولكنها لم تلبث أن خمدت نارها فطرد البقية الباقية منهم الى افريقية ثم جهز حملة على المغرب الاوسط فاستولى على تونس، ثم استردها الترك من بعد بضعة اشهر، فسار جيش الاسبان منها الى العرائش من ثغور مراكش لامداد السلطان محمد الشيخ من السعديين وانقاذه من الثوار. فاحتلها الاسبان وبقوا فيها الى أن

(١) بقي الحرب منذ سقوط غرناطة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢) سجالا بين العرب والاسبان في الاندلس الى أن جاءت سنة ٩٧٨ هـ (١٥٧٠) فشددت الحكومة الاسبانية الخناق عليهم ونكلت بهم، ولكنها بذلك المنفوان قوت عصبيتهم، ووحدت كلمتهم، فتحصنوا تحت راية زعيم من بقايا الامويين اسمه (ابن أمية)، وحاربوا الاسبان حروبا شديدة ثم مالبثت تلك الثمالة ان فتكت بزعيمها وأقامت عليها ملكا آخر اسمه (عبد الله بن آبو)، وقال مؤرخو الفرنجة انه كاد ينجح في كبح الدولة الاسبانية، لولا ان كلمة القوم تفرقت ووحدتهم تشعبت، ثم ضيق الاسبان الخناق عليهم حتى ابادوهم عن آخرهم في سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠)

دحرهم عنها مولاي اسماعيل الكبير سنة ١١٠٠ ﻫ (١٨٨٨)

ثم توالت المناوآت بين الاسبانين والمغاربة حول الموانىء الساحلية بحراً وبراً نحو مائتي سنة دون أن يتمكن الاسبان من التوغل فى داخل البلاد المغربية الى ان احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٢٤٦(١٨٣٠) فبذلت اسبانيا جهوداً عظيمة لاقصائها عنها ومدت الامير عبد القادر بمساعدات كبيرة وحرضت المراكشيين على معاونة اخوانهم الجزائريين

ولما اخضعت فرنسا الجزائر وعقدت معاهدة مع مراكش سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) حددت بها التخوم بين الجزائر ومراكش ، أصبحت الدول تهتم اهتماما كبيرا لشئون مراكش وتتسابق الى توسيع نفوذها فيها كما سنذكره في مسألة طنجة ، فكانت اسبانيا فى مقدمة هذه الدول التى جعلت قضية مراكش من القضايا الاولية فى مسائلها الخارجية

ثم جاء مؤتمر الجزيرة الذي عقدته سنة ١٩٠٦ فقضى على استقلال المغرب الاقصى رغم ارادة الاهالي ، وجزأه الى مناطق سلطة ونفوذ . وكان نصيب اسبانيا من هذه الغنيمة المقاطعة الريفية وما جاورها من الجبال القاحلة ، وما بقى من البلاد المراكشية قد دخل فى حيازة فرنسا ونفوذها

ولكن اسبانيا رغماً عن قرار المؤتمر فأنها لم تجرؤ على احتلال الريف الى سنة ١٩٠٩ حيث أنزلت فرنسا جنودها فى منطقة نفوذها وباشرت فى تنفيذ الخطة التى رسمتها فاضطرت وقتئذ للقيام بنفس العمل في منطقتها الريفية فارسلت جيشا الى مليلة وسبتة والعرايش لاجل حماية الولاة فأبى الريفيون قبولهم والتخلى عن بلادهم للمستعمرين ؛ ورأوا ان المصلحة كل المصلحة في المدافعة عن كيانهم وأوطانهم فعقدوا الخناصر على مقارعة كل من يحب اخضاعهم وثارت قبائل انجرة وجبالا [1] بزعامة الريسولى [2] المشهور فشرعت السلطة الاسبانية في معالجتهم تارة بالعنف

(١) تقطن قبائل أنجرة في المثلث الواقع بين سبتة وطنجة وتطوان ، وقبائل جبالا على سواحل نهر اللقس الذى يصب عند ثغر العرايش

(٢) الريسولي ـ هو مولاي أحمد بن محمد بن الريسولي الزعيم المراكشي المشهور ولد سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) فلما شب أخذ يغزو جيرانه ، ولما تفاقم شره قبض السلطان عليه وسجنه خمس سنين في (موغادور) وبعد خروجه من السجن اختطف مراسل جريدة التايمس في طنجة وأشخاصا آخرين ولم يطلق سراحهم الا بعد أن أطلق السلطان ستة عشر من رجاله كانوا رهن السجن وفي سنة ١٩٠٤ اختطف امريكيين فنال لقاء اطلاق سراحهما فدية قدرها ١١ الف جنيه وعينه السلطان حاكما لمنطقة طنجة ولكن السلطان اضطر أخيراً الى اقالته فعاد الى الجبال واعلن عصيانه مرة أخرى وفي سنة ١٩٠٧ أسر السير هنري ما كاين الانكليزى قائد جيش سلطان مراكش فبقي في

والصرامة وطورا باللين والسياسة فلا الصرامة أرهبتهم ولا السياسة ألانتهم فظلوا حتى أوائل الحرب العامة حيث اتفقت السلطة مع الريسولى وأطلقت عليه لقب أمير الجبل ومدته بالذخائر والاسلحة واغدقت عليه الاموال ، ولكنه بدلا من أن يحقق أغراضها اتفق في زمن الحرب مع ضباط فرقة الالمان ـ الترك لنشر الدعاية ضد فرنسا في مرا كش فبقي يناويء الاسبان من جهة ويبث الدعاية ضد فرنسا من جهة ثانية بالاشتراك مع الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف اليوم والامير عبد المالك الجزائرى [1] الى ان عقدت الهدنة سنة ١٩١٨ حيث عينت اسبانيا الجنرال برانجر مندوبا ساميا فجرد حملة على الريسولى وقبائله اسفرت عن اخضاعه واحتلال مدينة شيشوان

وبينما كان الجنرال المندوب يقوم بهذا العمل في المنطقة الغربية ، كان معاونه الجنرال سلفستر يتهيأ للقيام بنفس العمل في المنطقة الشرقية التي يرأسها الامير ابن عبد الكريم ، فحدثت الثورة العظيمة وضرب الامير الخطابي الاسبان الضربة المؤلمة التى لا يزال صداها يرن فى أربعة اركان المعمور على نحو ما سنذكره بالتفصيل

أسره عدة شهور ولم يطلق سراحه الا بعد ان افتدى بعشرين الف جنيه ثم قام بثورات مختلفة كان لبعضها التأثير السيء على مصير بلاده . وفي فبراير ١٩٢٥ دفعه الحسد الى مناوأة بطل الريف فاسره رجال عبد الكريم ومات في الاسر

وفي ابريل سنة ١٩٢٤ حاول الاسبان ان يستميلوه ويدفعوه الى قتال الامير ابن عبد الكريم فيضربوا البلاد بعضها ببعض وذلك بان يعينوه خليفة للسلطان في المنطقة الاسبانية ويجعلوه صاحب السلطة العليا في الاراضي الريفية ، ولكن حركتهم هذه أخفقت لاسباب جمة أهمها اباه مولاي يوسف الذي لايزال صاحب السلطة الشرعية على البلاد لاعتراف بهذا الخليفة ، ولان صداقته مع ابن عبد الكريم متينة جداً ، ولذلك فضل الانسحاب ظاهرا من الميدان واوعز سرا لقبائله بمساعدة اخوانهم فثارت في وجه الاسبان واعملت السيف في رقاب جيوشهم .

(١) الامير عبد المالك — هو نجل الفريق محيي الدين باشا عضو مجلس الشيوخ العثماني السابق ، ولد في دمشق واتم تحصيله في مدرسة بيروت التجهيزيه ، ثم التحق بقصر (يلديز) مرافقا للسلطان عبد الحميد . ثم فر من الاستانة على أثر سعاية رفعت عنه ، وجاء الى الاسكندرية ومنها الى جبل طارق فالمغرب الاقصى ، فبقي هنالك الى أن سمحت له الحكومة الفرنسية بالعودة الى الجزائر فعاد اليها وانتظم في سلك الجيش الافرنسي فيها ثم عين قائدا لقوة الشرطة المراكشيه في طنجه ، وهي القوة التي قضى مؤتمر الجزيرة بتأليفها ، وعند مانشبت الحرب العامة فر الامير عبد المالك الى الحدود ودخل المنطقة الاسبانية وجعل يبث الدعاية لالمانيا ويحرض القبائل ضد فرنسا . وبعد انتهاء الحرب العامة عينته السلطة الاسبانية حاكما على قبائل صنهاجه وبقى في هذا المنصب الى أواخر عام ١٩٢٣ . اما علاقته مع مولاى ابن عبد الكريم فغير حسنة بل هي سيئة جدا ، فقد حدث في أول نهضته ان كتب الي الامير عبد المالك يطلب انضمامه الى قوته ليكونا يدا واحدة فرفض عبد المالك هذا الطلب بشدة واغلظ لرسول الخطابى بالجواب وهدده ان هو عاد اليه مرة ثانية ، لان عبد المالك كان لايحب ان يظهر غيره في الميدان ، ثم جعل بين حين وآخر يعرض على السلطة الاسبانية ان يتولى قيادة الجنود المراكشية لمحاربة بطل الريف فقبلت السلطة منه ذلك في النهاية ، وذهب بالفصائل التي جندها من المسترزقة الى مليلة وقام بهجوم شديد على مجاهدي المغرب في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤ سفرت عن وقوعه صريعا في أول معركة وقعت

– مسألة طنجة –

لم تكن طنجة مدينـة كبيرة تلفت الانظار اليها ، وانما هي مدينة صغيرة في عين الناظر ، وكبيرة جداً عند رجال السياسة بموقعها الجغرافي الذي جعلها صالحة لأن يكون لها مرفأ عظيم على ساحل بحر الروم بالقرب من جبل طارق ، فهي من هذه الوجهة ذات أهمية عظمى في نظر الانكليز الذين يعملون ليل نهار للسيطرة على جميع الطرق المؤدية للهند ، ولم تكن هذه الاهمية أقل شأناً ولا أدنى منزلة في نظر ساسة فرنسا واسـبانيا الذين يعلقون على وجودها في الساحل المراكشي واسع الآمال في اتصال تجاراتهم بمستعمراتهم .

ويبلغ عدد سكانها اليوم نحو أربعين ألفاً وهي من المدن التي لا تزال محتفظة بطرازها الشرقي رغم متاخمتها للقارة الاوربية ، واحتكاكها بأمم شتى ، وقد استولى عليها البرتقاليون سنة ٨٦٩ (١٦٥٦) واهديت الى كاترين أوف برجانز عند زواجها من شارل الثاني ملك انكلترا سنة ٨٧٥ (١٦٦٢) فأصبحت طنجة انكليزية ولكن مولاي اسماعيل الكبير أخرجهم منها عنوة سنة ١٠٩٥ (١٨٨٢) وحاصرها الفرنسيس سـنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) لمناسبة مساعدة المراكشيين اخوانهم الجزائريين في ثورة الامير عبد القادر الحسني

ويقيم فيها الآن كثير من معتمدي الدول والسلاطين المخلوعين من امراء المسلمين في المغرب الاقصى امثال مولاي عبد العزيز

وقد بدأت تكتسب هذه المدينة صفتها الدولية بعد ماعقدت المعاهدة البريطانية المراكشية سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) ، والمعاهدة الاسبانية ـ المراكشية سنة ١٢٧٩ (١٨٦١) فقد اعترف السلطان في هاتين المعاهدتين بالامتيازات الاجنبية ، ومنح اتفاق مدريد سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) هذه الامتيازات لبقية الدول الاوربية صاحبة المصالح في مراكش .

وفي سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) عقدت معاهدة بين اسبانيا وفرانسا اعترفت المادة التاسعة فيها بأن تكون لمدينة طنجة (صفة خاصة) ثم جاء بعدها مؤتمر الجزيرة سنة ١٣٢٤ (١٩٠٦) فتوسع في تفسير هذه الصفة بحيث جعلها (دولية)

وفي سنة (١٩١٢) بسطت فرانسا حمايتها رسميا على مراكش بموجب معاهدة عقدتها مع مولاي عبد الحفيظ ، وتأيدت في احدى فقراتها (الصفة الخاصة) التي اعطيت لطنجة فيما سبق ، ثم جاء اتفاق مدريد الذي عقد في السنة نفسها بين اسبانيا وفرانسا فنص على أن « يوضع لمدينة طنجة نظام خاص يعين فيما بعد » .

وكان الاتفاق الفرنسوي الالماني الذي عقدته سنة (١٩١١) على أثر حادثة أغادير [1] قد نص على عدم مد خط حديدي من أي ميناء في مراكش قبل عرض انشاء خط من طنجة الى فاس على الطالبين .

وفي سنة ١٣٣٣ (١٩١٤) وضع مشروع لنظام هذه المدينة قبلته فرانسا وامتنعت اسبانيا عن قبوله ، ثم جاءت الحرب العامة فانصرفت الدول عنه الى مشاغل الدفاع الوطني .

ولما وضعت الحرب أوزارها وتنازلت المانيا بموجب معاهدة ڤرساي عن حق التدخل في شؤون مراكش حاولت فرانسا بسط سيادتها على طنجة فاعترضت اسبانيا وبريطانيا على هذه المساعي ودارت مفاوضات بين هذه الدول في عامي (١٩٢١ - ١٩٢٢) لحل هذه المشكلة لم تسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي سنة (١٩٢٣) تم الاتفاق بين هذه الدول الثلاث على نظام طنجة في المؤتمر الذي عقد في لندن يقضي بحياد (منطقة طنجة المراكشية) - وهو الاسم الرسمي الذي اعترف به زمن الحرب - وجعلها ميناء مفتوحاً لمتاجر الامم كلها ، وبضم شقة من الارض من جهة طنجة الى المنطقة الاسبانية ، وبمنح منطقة طنجة المراكشية نظاما ذاتيا واسع النطاق ، ويجري فيها الحكم باسم السلطان بواسطة « بلدية دولية » ينتخب أعضاؤها من رعايا الدول الثلاث - فرانسا واسبانيا وانكلترا - ومن رعايا الدول الاخرى ذات المصالح فيها ، ويكون رعايا السلطان من العرب واليهود ممثلين فيها أيضا ، وتكون هذه البلدية تحت مراقبة مجلس يسمى (مجلس المراقبة) يؤلف من قناصل الدول ومن ممثل للسلطان ، الى غير ذلك من المسائل .

هذه خلاصة لتاريخ الاستعمار في طنجة بل وفي مراكش كلها بسطناها هنا لتعلقها بالموضوع الذي نحن بصدده .

---

(١) حادثة أغادير — بينما كانت المانيا تعد عدتها لتنفيذ سياستها الاستعمارية ، كانت فرنسا تعمل من جهة ثانية لبسط نفوذها على مراكش ، فارادت المانيا ان تنازعها هذه البلاد وباتت تتحين الفرص لذلك الى ان هزمت روسيا حليفة فرنسا ، تلك الهزيمة الشنعاء في موقعة مكدن سنة ١٩٠٥ في الحرب الواقعة بينها وبين اليابان ، فأسرع عاهل المانيا الى زيارة طنجة ، واعلن ان حكومته لن توافق على أي تغيير في ادارة المغرب الاقصى من غير رضاها وفاقا لقرارات مؤتمر برلين ، فعقد على الأثر مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ وقرار احترام استقلال مراكش وتكليف فرنسا بالمحافظة على النظام. على انه في سنة ١٩١١ عاد النزاع على اثر ارسال فرانسا جيشا لاحتلال عاصمة مراكش ، فقد اعادت المانيا احتجاجها وعززته بارسال اسطول الى (اغادير) لصيانة المصالح الالمانية ، وكاد الامر يؤدي الى نشوب حرب اوربية لولا تغلب روح المسالمة والاعتدال. وفي مؤتمر الجزيرة الذي عقد في السنة نفسها تقرر اطلاق يد فرانسا في مراكش لقاء التنازل عن جزء من الكونغو الافرنسية الى ألمانيا .

الفصل الثاني

سيرة الامير

﴿ مولده ونسبه ﴾

فى أوائل هذا القرن ـ أى الرابع عشر للهجرة ـ ولد الامير محمد بن عبد الكريم في مدينة (مليلة) ، تلك المدينة التي تقطنها الالوف المؤلفة من اخلاف ملوك العرب الذين هاجروا من الاندلس عقيب الكارثة العظمى . وهو اليوم في العقد الرابع من عمره ، ويمت بنسبه الى أسرة (الخطابي) من بيوتات الريف الكبيره ، وصاحبة الزعامة في قبيلتها (بنى رور ياغل) . وقد اشتهر كثير من أفراد هذه العائلة في قتال الاسبان شهرة عظيمة نخص بالذكر منها السيد احمد امزيان بطل معركة مليلة التي وقعت سنة ١٣٢٩ (١٩١١) ضد المستعمرين الاسبان فقد أبلى السيد احمد المذكور في تلك الواقعة بلاء مجيداً ، وجشم الاعداء الخسائر الفادحة . وقبيلة الامير ـ أى بنى رور ياغل ـ تقطن في الشمال الشرقى من بلاد الريف ، وهى أكبر قبائله عدداً وأعظمها نفوذاً وأشدها شجاعة .

أما والده السيد عبد الكريم فقد كان قاضياً شرعياً بمدينة مليلة وهو من المعروفين بين أترابه بالعلم والتقوى. ولم يتزوج الامير الا بعد نهضته هذه ، وليس له أولاد اليوم .

﴿ نشأته ﴾

شب الامير في مدينة مليلة وترعرع في حجر والده الذي كان استاذه الاول ، حيث درس مبادىء العلوم عليه وأتم تعليمه الاولي في مدارسها ثم سافر الى فاس ونال من مدارسها اجازة العلوم الدينية ثم قفل راجعاً الى مليلة والتحق بمدارسها الاسبانية فظهرت اذ ذاك مخايل نبوغ الامير ونجابته وحاز على دبلوم مدارسها الثانوية في مدة قليلة وبز اقرانه في التحصيل والدرس ، وبعد خروجه من المدرسة بقى عطلا من الاعمال فترة من الزمن ، تاقت نفسه العظيمة خلالها الى الازدياد من العلم فسافر الى اسبانيا والتحق بجامعة (شلمنكا) وتحصل منها على شهادة الحقوق

٤

والآداب ولقب (دكتور) فيها ، وفي أيام العطلة الدراسية انكب على دراسة تاريخ العرب في الاندلس وساح في بلدانها ، وشاهد آثار أجداده الخالدة التي لا تزال تنطق بعظمتهم وحضارتهم فتنبهت في نفسه عواطف القومية وفاض قلبه حنيناً وتذكاراً كان فيما بعد سبباً غير مباشر للانتقام من أعداء أمته .



احدث صورة للامير ابن عبد الكريم

﴿ أوصافه ﴾

قصير القامة ، بدين الجسم صبوح الوجه مستديره ، اسود العينين ، حاد النظر ، ذو شعر أسود ولحية خفيفة تبدو على محياه دلائل اللين والرقة ، يلبس العمامة والجلباب المغربي وكثيرا مايتزيي باللباس الافرنجي ويضع النظارات على عينيه . وليس للامير علامة خلقية يتميز بها سوى امرين احدهما يداه البيضاوان الناعمتان والثاني عيناه السوداوان اللتان يهز نظرهما القلوب .

﴿ أخلاقه ﴾

ضحوك الوجه لين العريكة ، يحب المبادرة ويكره التواني ، قليل الكلام كثير العمل يشتغل ست عشر ساعة كل يوم دون أن تظهر عليه دلائل الملل والكلل . وهو ذو شخصية بارزة وارادة قوية ، فاذا نظر اليه الانسان لاول وهلة لابد ان يحار في ان يكون لهذا الرجل اللطيف المظاهر ذلك التأثير العظيم على قبائل الريف الشكسة .

وهو فارس ماهر لايرهب الحوادث ولا يضطرب للنوازل يقود في أكثر الاحايين الثوار والجيوش بنفسه ، ويتقدم الى خطوط الحرب الامامية دون ما اكتراث أو وجل . وقد أحيط بمصاعب تفوق مصاعب مصطفى كمال بطل الترك واترابه فذللها بعزمه وحزمه وانقذ المغرب من اضمحلال محتم .

﴿ نبوغه ومواهبه ﴾

الامير ابن عبدالكريم رجل حر الضمير ، نقي الاخلاص ، وثيق الايمان ، ديمقراطي النزعة ، مجبول على حب الاستقلال : خمس صفات لم نشاهدها مجتمعة في كثير من عظماء التاريخ ولكن الله جمعها فى شخص هذا البطل فتجلت فيه الروح العربية الجيدة في أحسن مظاهرها ، والنبوغ الشرقي بأتم معانيه .

وللامير خبرة واسعة في الاحوال العصرية ، ومعرفة كافية في الاساليب العلمية والفنية تنم على نضوج الفكر ورجحان العقل ، وهذه الميزة وتلك الصفات هي التى رفعته الى درجات الابطال النوابغ الذين تختارهم العناية الآلهية بين حين وآخر لانقاذ البشرية المتألمة فيتقلدون تارة سيفاً ينقذون به شعبا كاد الظلم يودي بحياته ، وطوراً قلماً يرشدون به الانسانية الضالة .

وقد أظهرت الحوادث والايام ان مولاى الخطابي هو نابغة هذا العصر وبطله العظيم الذي

ارسله الحق جل وعلا لتخليص الشعب الريفي من ظلم فادح وشر مستطير .

﴿ قبل الحرب ﴾

على أثر عودة ابن عبد الكريم من اسبانيا قبيل الحرب وانتهائه من الدراسة عين قاضياً مدنياً لمدينة مليلة وعاد الى هذا المنصب بعد الحرب ولم يزل فيه الى أن قام بحركته المباركة ، وقد كان طيلة هذه المدة يرقب عن كثب أعمال المستعمرين في بلاده ويشاهد المناكر التي يأتيها عمالهم ، ويعمل طى الخفاء على احباط مساعيهم ، ما استطاع الى ذلك سبيلا : تارة بالسياسة ، وآونة بالصرامه .

وقد كان يعجب بالشباب ومافي سيمائهم من دلائل السرور فيجالسهم ويخاطبهم ويبث فيهم روح الاستقلال ، روح التمرد ، روح الثورة ، ويحبب اليهم الجندية ودرس . فنونها فدخل المئات منهم مدارس الحربية ونشأوا ضباطاً كانوا له اليد الكبرى في تدريب جيشه اليوم .

﴿ في الحرب العامة ﴾

ولما اعلنت الحرب العامة ارسلت المانيا والترك سنة ١٩١٦ فرقة من الضباط نزلت في احدى مواني الريف الاسبانية لاثارة القلاقل والشغب على دول الحلفاء في مستعمراتها ، فحينذاك ظهر ابن عبد الكريم الى الميدان وانضم الى هذه الفرقة وبدأ يعمل على مماكسة فرانسا وغيرها واثارة القلاقل والثورات ، وأعان اولئك الضباط واختلط بهم ، فاستفاد من خبرتهم العسكرية ومعلوماتهم الحربية استفادة كبرى ، ولكن الاسبان ظنت فيه السوء وخافت مغبة الامور ، لانه من اصحاب الكلمة المسموعة بين قومه ، فاعتقلته مدة ثم اطلقت سراحه ، وادخلته في سلك الجندية فعينته ضابطاً في الوزارة الحربية .

﴿ بعد الحرب ﴾

وفى سنة ١٩١٨ عقيب الهدنة وقعت قلاقل في منطقة الريف فرأت وزارة الحربية ضرورة لارسال الامير الى هناك للاستفادة من خبرته ونفوذه فالتحق بفرقة الريف ، وقدأظهر وقتئذ حنكة ودراية لفتت الانظار اليه بحيث سعى جهد طاقته ليوفق بين مصلحة قومه وسياسة الاسبان ، وتحمل من جراء ذلك صعوبات كثيرة وعرض نفسه للمهالك ولكنه لم يفلح ، ففضل وقتئذ الاستقالة من الجيش فاستقال وعاد الى منصبه ــ قاضياً مدنياً ــ فى مليلة يهيء نفسه لليوم

العظيم . وقد حاز خلال هذه المدة من دولة اسبانيا وسامات عديدة مكافأة على أعماله العظيمة التي قام بها . وتوصل بنبوغه وذكائه الى درجة (كابتن ـ أي رئيس) في الجيش في مدة قليلة جداً

﴿ أسباب الثورة ﴾

كان الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي قبيل قيامه بالثورة قاضياً مدنياً في مليلة كما ذكرنا فيما تقدم ، وهي بلدة احتلها الاسبان منذ أمد طويل واتخذتها السلطة معسكراً لجيش المنطقة الريفية الشرقية بقيادة الجنرال سلفستر الذي وقع قتيلا في المعركة الاولى من ثورة الريف المعروفة بمعركة عريت ـ انوال وذلك سنة ١٩٢١

وقد ترعرع الامير في هـذه البلدة ونشأ فيها وسمع اذ ذاك تنهدات بني قومه وشاهد بأم عينه ماتفعله جيوش المستعمرين المحتلة من المناكر والآثام فاوجدت في نفسه بغضا جعلته يتحين الفرص للايقاع بهم والانتقام للاندلس .

وبينما كان ذات يوم يسـير في احدى شوارع مليلة اتفق ان شاهد عريفاً (جاويش) اسـبانياً يضرب بالكرباج ريفياً ضرباً مبرحا ، والريفي يستغيث ولا يغاث ، فاحتد الامير اذ ذاك وتقدم من الاسباني سائلا عن السبب الذي حمله على اقتراف هذا الفعل المنـكر ، فأجابه الاسباني بكل غلاظة وعنف ، بأن دابة هذا الريفي قد لـكمته بيده !!! فحاول الامير أن يهديء من روع العريف الاسباني ، ويردعه عن عمله المشين فلم يفلح .

﴿ ثمن الـكرباج ﴾

ولما رأى الامير تصلب الاسباني في فكره ، وشدة عناده تركه وذهب تواً الى مقر القائد العام حيث قص عليه الحادث كما حدث وطلب ادانة العريف الاسباني تهدئة للخواطر الهائجة ، وأبان سوء مغبة هذا العمل الذي يسيء بسمعة اسبانيا ، ان هو توانى في تجزية المعتدي

فقال له القائد : ألا تدرى أن الاسباني مهما كانت منزلته وطبقته هو سيد هذه البلاد ؟

فأجابه الامير حينذاك بكلمته الذهبية المأثورة التي ستبقى مثلا للمستعمرين ابد الدهر وهي : « وأنت أيضاً ألا تدري ان هذا الـكرباج سيكلف أسبانيا ثمناً باهظاً ويحملها عبئاً ثقيلا ؟ »

ثم ترك القائد وخرج حانقاً غضبا

﴿ الانتقام للاندلس ﴾

خرج ابن عبد الكريم من لدن القائد الاسباني ووجهته مقر قبيلته (بنى روورياغل) التي تقطن في الضواحي ، فاجتمع هناك بفريق من أصدقائه المخلصين الذين يثق بهم كل الوثوق ، ولا يتجاوز عددهم العشرة ، وحادثهم بالحادث الجلل وأفصح لهم عما يكنه فؤاده من الانتقام للاندلس . والقيام في وجه اسبانيا تلك الدولة الغاشمة التي قضت على ملك العرب في الديار الاندلسية ، وجاءت اليوم تريد القضاء على بلاد المغرب وحريتها واستقلالها . واستنهض هممهم وأثار نخوتهم . وسألهم عما اذا كانوا يشاركونه في ثورته أم لا ؟

فاجابوه كلهم بلسان واحد بالايجاب وأقسموا يمين الكتمان والدفاع عن الاستقلال حتى النفس الاخير . فكان قسما عظيما . . .

﴿ الرصاصة الاولى ﴾

ثم انسل كل واحد منهم الى ناحية من المدينة والتقف بندقيته مع خراطيشها وعاد الى المكان المعين . وفي المساء اعتصموا بأكمة من آكامها ، حيث بدأوا يناوئون العدو . فخرجت الرصاصة الاولى ، رصاصة الانذار يوم ١٤ ذى القعدة ١٣٣٩ (٢٠ يوليو سنة ١٩٢٠)

هاجم هؤلاء العشرة وعلى رأسهم ابن عبد الكريم باديء ذي بديء مخفرا من مخافر الاسبان الامامية وأخذوا سلاح جنوده وعتادهم وأعطوها الى فريق آخر من اخوانهم الذين كانوا طلبوا اليهم الالتحاق بهم . فبقيت الحالة هكذا دواليك كلما غنم الامير وجماعته بندقية أعطوها الى واحد من الاشخاص الذين لما طرق مسامعهم خبر الثورة جاؤا زرافات ووحدانا للانضمام الى الثائرين وشدارزهم . واسبانيا تعدهم حينئذ « عصابة لصوص وقطاع طريق » فلا تكترث بهم ، ولا تهتم بأمرهم . وانما ترسل لمطاردتهم الكتيبة اثر الكتيبة بدون أن تتمكن من قطع دابر هؤلاء اللصوص ، قطاع الطرق ! فلما بلغ عدد رجال الامير خمسمائة نسمة واشتد ساعده وهاجت الخواطر في البلدان شعرت القيادة الاسبانية بالخطر المحدق وجردت الحملات ، وارسلت الجيوش . . . ولكن لا الى ميدان النصر والظفر ، بل الى المجزرة ، الى الموت . .

﴿ وشاورهم الى الأمر ﴾

ولما قويت شوكة الامير وانتشر نبأ قيامه في البلاد فقابله الشعب بما يستحقه من العناية

والاهتمام رأى أن أحسن وسيلة لنجاح القضية هو ايجاد أساس متين لبنائها وذلك بجعلها حركة قومية عامة يشترك فيها الشعب في ادارة دفة الحركة والحكم فدعا القبائل والاهلين الى عقد اجتماع عام في معسكره . فلبى السواد الاعظم دعوته عن طيبة خاطر ، وتقاطروا على معسكره زرافات ووحدانا . وهناك وقف الامير خطيباً بينهم ، فاستهل خطابه بنبذة تاريخية عن علاقات اسبانيا بالعرب في الاندلس والمغرب . وأبان لهم الاعمال الهمجية التي يقوم بها المستعمرون في البلاد الشرقية وغايتهم من بسط نفوذهم على البلاد . ثم تدرج الى ذكر الاسباب التي حملته على القيام في وجه الظالمين ، وبسط بايضاح المثل الاعلى الذي يصبو اليه . وطلب اليهم الاتحاد والتضامن وشد ازره في قيامه للوصول الى الفوز والفلاح . ثم اقترح أن يتذاكروا في الامر ويبينوا له آراءهم وأفكارهم بكل جلاء ووضوح . فاتفق الجميع على الجهاد والدفاع الى آخر نقطة من دمائهم ورأوا أن أضمن طريق للفلاح هو تشكيل مجلس عام يكون المرجع الأعلى ، بحيث يضع برنامجاً للسير عليه . ويؤلف حكومة وطنية تدير شؤون البلاد . وتضع الانظمة والقوانين .

﴿ الجمعية الوطنية ﴾

تشكلت الجمعية الوطنية أو المجلس العام على الطريقة المتبعة في المغرب الاقصى من جماعات القبائل والاهلين . وهم الاعيان والمشايخ والولاة . فكانت هذه الجمعية هي الممثلة لارادة الامة وهي التي تولت تنظيم الجهاد الوطني وادارة شؤون البلاد .

عقدت الجمعية الوطنية الريفية اجتماعها الاول في بدء سنة ١٣٤٠ فكان قرارها الاول اعلان استقلال البلاد وتشكيل حكومة دستورية جمهورية يرأسها الامير محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة فتم ذلك في يوم ١٥ المحرم ١٣٤٠ (١٩ سبتمبر ١٩٢١)

ثم وضعت دستورا للبلاد مبدؤه سلطة الشعب ، وجعل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في يد الجمعية الوطنية أي انه لم يفصل بين السلطتين طبقا للقواعد الدستورية الاوربية ، وجعل رئيس الجمهورية رئيسا للجمعية الوطنية . ويحتم على كل شيخ وزعيم وقائد[1] من أعضاء المجلس تنفيذ المقررات التي تقرها الجمعية ، وهؤلاء مسؤولون عنها تجاه الرئيس بصفته رئيس الحكومة ،

(١) الحاكم أو الوالي في بلاد مراكش يسمى (قائدا) .

والرئيس مسؤول عنها ازاء الجمعية؛ وقد اختارت الجمعية هذه القاعدة في دستورها وفاقا لتقاليد البلاد وعاداتها .

أما الوزارة فقد نص الدستور على تشكيل أربعة مناصب منها فحسب وهي مستشار رئيس الجمهورية ـ وهو يقوم مقام رئيس الوزارة ـ ووزير الخارجية ، ووزير المالية ، ووزير التجارة وبقية الاعمال كالداخلية والحربية فقد جعلها الدستور من خصائص رئيس الجمهورية .

ـ الميثاق القومى ـ

ثم شرعت الجمعية الوطنية في وضع ميثاق قومي يكون المثل الاعلى للشعب في جهاده ونضاله فأقرت بعد جلسات متتالية الميثاق القومى الآتي :

١ ـ عدم الاعتراف بكل معاهدة لها مساس بحقوق البلاد المغربية وبخاصة معاهدة ١٩١٢

٢ ـ جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن في حوزتهم قبل ابرام المعاهدة الاسبانية الفرنسوية سنة ١٩١٢ ، فلا يبقى لاسبانيا سوى سبتة ومليلة وما يجاورهما من الاراضى

٣ ـ الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية الجمهورية .

٤ ـ تشكيل حكومة جمهورية دستورية .

٥ ـ أن تدفع اسبانيا تعويضا للريفيين عن الخسارة التي لحقت بهم من جراء الاحتلال في السنوات الاثنى عشرة الماضية ، وفدية للاسرى الذين وقعوا في يدهم .

٦ ـ انشاء علائق ودية بين كافة الدول بدون ما تمييز وعقد محالفات تجارية معها .

ـ العَلَم الريفي ـ

واختارت الجمعية علماً لدولتها الجمهورية الريفية أرضه حمراء وفي وسطه نجمة خضراء سداسية ضمن هلال في رقعة بيضاء .

وهذه الالوان الثلاثة رمز تاريخي لأعلام عربية قديمة : فاللون الاحمر كان شعاراً للحجاز قبل الاسلام وما زال راية الاسرة الشريفية فيها التى منها سلاطين المغرب اليوم ، وفي كتاب تاريخ الدول العربية أن الحميريين اتخذوا هذا الشعار وان امرء القيس بن حجر لما بلغ القسطنطينية كان يحمل اللواء الاحمر .

واللون الاخضر هو شعار أهل البيت النبوى الكريم والفاطميين . أما اللون الابيض فهو شعار الامويين في الشام والاندلس .

﴿ عاصمة الجمهورية الريفية ﴾

نص الدستور الريفي علي جعل (أجدر) عاصمة للجمهورية الريفية ومعسكراً لجيشها ، وهذه البلدة رغماً عن كونها عاصمة لايزيد طولها عن ميلين ، وعرضها عن ميل بادىء بدء ، قد اتسعت حتى صارت بلدة كبيرة ، وهي تقع فى بقعة جبلية تشرف على وادى (الحصاص) ، وقد تستطيع المدافع الاسبانية في الحسيمة أن تنالها بقذائفها

في هذه البلدة يقيم بطل الريف في منزل لايمتاز عن منازل البلد بشيء اللهم الا بكثرة الداخلين اليه والخارجين منه من الرسل وأصحاب المصالح ، ومن هذا المنزل تصدر الاوامر بحشد الجيوش وتنظيم الاعمال .

اما غرفة استقبال الامير التي خرجت منها شعلة أضاءت ارض الوطن وألهبت قلوب بنيه والتي هى محط انظار الامة وهيكل تاريخها ، وهي غرفة عمله أيضاً – فانها لاتزيد مساحتها عن عشرين



﴿ الامير محمد بن عبد الكريم فى مركز القيادة العامة ﴾

قدماً مربعاً ولا يزيد ارتفاع جدرانها عن ستة أقدام، وقد نشرت على جدرانها خريطتان اسبانيتان لبلاد الريف . أما أرض الغرفة فمفروشة ببساط وفيها كراسي ومنضدة من الخشب عليها رسائل وتحارير وجرائد ومجلات عربية وافرنجية ، ويجلس مولاى ابن عبد الكريم خلف هذه المنضدة ولا يشاركه في أعماله سوى أخيه الأمير محمد الصغير بن عبد الكريم [1]

﴿ أقوال الاجانب والصحف في الامير ﴾

قالت جريدة (الديلي اكسبريس) الانكليزية في مقال افتتاحي :

ان الامير ابن عبد الكريم يعد من بين كثيرين من مشاهير رجال العالم الذين لاتعرف سيرهم الا في الروايات . فهو شديد الحذر والانتباه لايبوح بخطته الا عند تنفيذها . وقد عبأ جيشاً على أحدث نظام فدرب رجاله ومرنهم على أساليب القتال .

وقال المستر ورد برايس مراسل (الديلي ميل) الانكليزية وقد زار الامير في معسكره : ابن عبد الكريم في العقد الخامس من عمره ، وسيم الوجه رغماً عن غضونه ، براق العينين ، له نظرات النسر مليح كاغلبية بنى جنسه ، اجش الصوت جبل اليدين ، مهيب الطلعة ، وديع المحيا دائم الابتسام . قد يشعر المتحدث اليه بطمأنينته وعطف . ومن رأيي أنه بريء مما يرميه به اعداؤه الاسبان من الوحشية والقسوة في معاملة الاسرى منهم وسفك دمائهم . حادثته طويلا فوجدت منه رجلا ذكيا هادئاً ، حذراً غامضاً .

وقال الكابتن (هاوكس) :

ان للامير ابن عبد الكريم نفوذاً بين مسلمي أفريقية الشمالية لم يسبق له مثيل منذ عهد الامير عبد القادر وهو حاكم مطلق على ألوف من الناس بمحض ارادتهم واختيارهم . مع أنهم لم يخضعوا قط فيما مضى لزعامة رجل واحد، فأوامره تطاع وضرائبه تؤدى من دون أدنى تذمر .

....

(١) ان العادة في بلاد الريف ان الولد الاول والثاني يسمى كل منهما محمداً ويميز الاول بالكبير والثاني بالصغير، فيقال محمد الكبير ومحمد الصغير ، فبطل الريف هو الاول ولذا يسمى محمد الكبير ، وشقيقه هذا هو الثاني فيسمى الصغير

والامير محمد الصغير هو شاب لم يتجاوز الثلاثين عليه سيماء النبل والمهابة وأمارات الذكاء والحزم وهو عالم فاضل تلقى علومه في اسبانيا ودخل المدرسة الحربية الملكية في مدريد فبرع في الهندسة العسكرية ووضع الخطط الحربية وحذق في فن الطبوغرافيا (أى المساحة) وعلم المعادن وزار كثيراً من بلدان اوربا . وقد تولى أخيرا قيادة الجيش في المنطقة الغربية (أى جباله)

وقال مراسل (المورنين بوست) فى مراكش :

اذا نظر الانسان الى الامير لاول وهلة لابد ان يحار فى ان يكون لهذا الرجل اللطيف المنظر ذلك التأثير العظيم على قبائل الريف الشكسة . ولكن عند ما يعرفه يوقن انه ذو شخصية عظيمة فهو أحد أولئك الذين يولدون زعماء فى ازمنة مختلفة بين الامم ليكونوا مصيرها ويتركوا أثرهم في تاريخ العالم . وهو ليس زعيما فقط بل مصلح أيضا حتى ان تأثير حكمه قد بلغ الى مدى يفوق حد التصديق فى تبديل الاحوال فى الريف .

وقال الكابتن (بيغان) :

ان الريفيين الذين يقودهم الأمير ابن عبد الكريم لايمكن ان يغلبوا وقد احتفروا خنادق عظيمة وانشأوا استحكامات منيعة .

وقال مراسل (التايمس) فى طنجة :

ان الامير ابن عبد الكريم قائد مقتدر وهو يأمل ان يصل بطريقة معقولة الى أمنيته ويصبح سلطاناً . وقد جلت الحركات العسكرية الاخيرة اسراراً ظهرت منها حكمة الريفيين الفائقة في اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية .

وقال الموسيو (اميل بوري) الكاتب الفرنسى :

ان مركز اسبانيا فى المغرب الاقصى صار متحرجا، وعبد الكريم يعرف ذلك ويرى نفسه قد فاز بالنصر . وعبد الكريم هذا رجل عجيب القصة ، فقد حصل العلم فى (شلمنكا) وله رفاق وأتراب فى تلك الجامعة وتراه يطمع فى ان يكون (الزعيم العصري) للاسلام . زاره أحد الاخباريين الامركيين مؤخراً فاوضح له أنه يستخدم التلفون وأداة الكتابة المعروفة والسيارة الكهربائية كما يستخدمها المسيو دومرج رئيس الجمهورية الامريكية نفسه .

ومكانة عبد الكريم اليوم سامية حتى في مستعمراتنا الجزائريه وهو نظير عميد البولشفيين يبعث دعاته الى جميع الاقطار التي بقصد تحريك اهليها .

وقال المسيو (جان مارسيلياك) :

كان يقال فيما مضى انه فى الحروب لايقع القتيل الا بعد رميه بثقله ، وأما مع عبد الكريم ورجاله المغاربة فقدر ثقل الاصبع يكفي لقتل واحد

وقال (المارشال ليوتي) مندوب فرانسا السامي في مراكش :

أرى ان خطر الحالة الحاضرة فى الريف يتجاوز افريقية الشمالية ، فأن العالم الاسلامي يرقب الحرب بين ابن عبد الكريم واسبانيا باهتمام عظيم والمعروف أيضا أن أفريقية الشمالية كلها تنظر بعين الاهتمام والعناية الى ثورة الامير ابن عبد الكريم وان الذين يثيرون الفتن يتوسلون بتقهقر الاسبان المتواصل مع ما عندهم من الجيوش والمدافع ومعدات القتال الحديث امام الوطنيين الذين لاسلاح لهم سوى البندقيات وتنابل اليد ، لحمل القبائل على اقتفاء أثرهم.

وقال المركيز (دي سيجونزاك) :

ولاريب ان ابن عبد الكريم يمطرنا الآن وابلا من الاحتجاجات السلمية فقد سوى المسألة الاسبانية ، ولكن من يشك فى انه سيرتد علينا ؟ ان العالم الاسلامي بأسره يستحلفه ويحثه على ذلك ، وتعتبره الهند ومصر وتونس وغيرها محرر افريقية الشمالية وقاهر الاستعمار .

وقال المستر (كنورثي) عضو مجلس النواب البريطانى :

ان ابن عبد الكريم رجل حرب وجلاد وزعيم يعرف كيف يجعل الجماهير تنقاد اليه حتى صار الناس فى الهند وبغداد والقاهرة يرون فيه رجلا يصح ان يكون أميرا للمؤمنين وحاملا لسيف الاسلام . فاذا أصبح والحالة هذه فى مركز يدعو فيه الى الجهاد فى افريقية الشمالية وبلاد العرب والاناضول فأن انكلترا وفرنسا وايطاليا يتعرضن لاخطار عظيمة . ولايبعد ان تمس هذه الاخطار روسيا أيضاً .

وقالت جريدة (دويتشه الجيمينه تسايتونغ) الالمانية :

الامير ابن عبد الكريم زعيم القبائل المناهضة للاسبان هو رجل قدير ، ذائع الصيت ، وزعيم متعلم ، وقائد ماهر ، ومنظم حاذق ، وسياسى حكيم يعرف كيف يستعمل المنافسات لصالح أمته ، وهو يحكم منطقة ندر ان ذاقت طعم الحكم الاجنبى أو استهدفت حتى للرومان القدماء الذين اخضعوا الالب وآكام الالبان ولم يفتحوها .

وقالت جريدة (الطان) الفرنسوية :

« ان منطقتنا فى مراكش تستهدف لخطر عظيم اليوم ، ونعنى به ابن عبد الكريم الذي اخذ نفوذه يزيد زيادة مطردة بعد انكسار الجنرال سلفستر الاسباني فى سنة ١٩٢١ فقد عرف هذا كيف ينتفع بما خلفته الجيوش الاسبانية يومئذ وراءها من الاسلحة والذخيرة ليقنع انصاره

انه صار فى استطاعته الآن أن يقاوم أى دولة أوربية مادامت المعدات الحربية الحديثة متوفرة عنده. وقد كنت فى الخريف الماضى في شيشوان وذلك قبل جلاء الاسبان عنها فأدهشني تأثير ابن عبد الكريم فى نفوس الريفيين فأنهم كانوا يقولون لى ان مساعدي الامير لايكتبون مثلنا وهم متربعون على الارض ولايحملون ورقتهم بيد وقلمهم بيد أخرى بل يجلسون الى منضدة مثلكم ويستعملون الآلة الكاتبة مثلكم. وهو عند مايخابر أنصاره لايرسل اليهم رسلا كما جرت العادة بل يخاطبهم بالتليفون واذا أراد أن يزورهم فلا يمتطي جواداً بل يذهب اليهم بسيارته مثلكم، ثم يردفون ما تقدم بقولهم : وهو يملك ما يملكه الفرنسويون ويعمل ما يعمله الفرنسويون.»

﴿ الادارة والاصلاحات ﴾

بذل الامير ابن عبد الكريم جهوداً عظيمة فى سبيل انقاذ البلاد من الحالة المحزنة التي كانت فيها. فقدكانت الفوضى ضاربة اطنابها والفتن والثورات منتشرة فى طول البلاد وعرضها والفتك شديداً، والازمة الاقتصادية آخذة بخناق الشعب، فقاوم الامير هذه الاخطار وذلل الصعاب وضرب على أيدي العابثين بالامن ولا شى جميع هذه الامور بحكمة ودربة. فحلت الطمأنينة محل الخوف، وذهب العدل والقانون بالظلم والاستبداد، حتىصار الاجنبي فضلا عن الوطني يستطيع ان يجوب تلك الانحاء آمنا لايخشى شراً من أحد اذاكان يحمل جوازاً (پاسپور) من الامير، وحتي صار الريفي نفسه يحار من هذا الامر، فهو اليوم يتكلم عن الحكومة فى بلاده مباهيا بها وعن السلامة المدهشة التي يتمتع بها فى حله وترحاله.

وما كانت الاعمال الحربية لتنسي الامير أمر الاصلاحات التي تحتاج اليها البلاد أشد الحاجة، وما كان توطيد الامن ليشغله عما يحقق لشعبه المستقبل المجيد فقام باصلاحات عظيمة فى كل فروع الحياة فنظم مالية البلاد وأصلح الادارة ونظم التجارة والزراعة وأسس المدارس وأرسل البعثات العلمية الى أوروبا، وعني باصلاح حالة الريف الصحية فأنشأ المستشفيات والمستوصفات وجلب الآلات الفنية وعمل على تعبيد الطرق وربطها بعضها ببعض الى غير ذلك من الاصلاحات التي ستكون نواة لنهضة قومية ثابتة فى المستقبل[1]

(١) وقد اصدر الامير في الآونة الاخيرة كما ذكرت جريدة (الجورنال) قانوناً يقضى باجبار العزب من رجاله على ان يتزوج الواحد منهم من ارملة او اكثر من ارامل اخوانهم الذين لقوا حتفهم في الدفاع عن بلادهم، كما انه

﴿ الاعمال السياسية ﴾

ليس الامير ابن عبد الكريم ذلك اللص القاطع الطريق المغتصب المتوحش كما يخيل للانسان عند مايقرأ أنباء الفظائع التي يرويها عنه خصومه بل هو رجل متفرد في الذكاء والتهذيب ومعرفة العالم وهو حلو الشمائل يستطيع أن يحادثك فى أى موضوع تفتح باب البحث فيه ، ويهتم اهتماماً كبيراً بالشؤون السياسية الاوربية ويعرفها معرفة خارقة ، وتجد على منضدته آخر ماصدر من الجرائد الاوربية لاسيما الاسبانية والفرنسوية منها ، وقد أصدر فى بدء تأسيس الحكومة منشوراً ينذر فيه بالقتل كل من يعتدي على أوروبى لمجرد كونه أوروبياً ، أو يقتل أسيراً اسبانياً وفاقا للحقوق الدولية

ولم ينس الامير التقاليد السياسية المرعية بين الدول فأعلن على أثر تشكيل الدولة الريفية ، تأسيسها بمنشورات رسمية بلغها الى دول الغرب وجمعية الامم ، واحتج فيها على سلوك اسبانيا فى الريف واعتدائها غير القانوني .

﴿ وفود الريف ﴾

ثم انتدب الامير شقيقه الامير محمداً الصغير ليزور مقر عصبة الامم والبلاد الشرقية ويطلع رجالها على أحوال بلاده فزار فرانسا والمانيا وسويسرا وانقرة وقام بمهمته خير قيام ، ولكن عصبة الامم صمت آذانها عن سماع دعواه فعاد بدون طائل .

وقفى على ذلك بوفد آخر قوامه السيد عبد الكريم بن الحاج علي والسيد محمد محساوى صهر الامير فسافرا سنة ١٣٤١ — ١٩٢٢ الى لندن وطلبا وساطة انكلترا بينهم وبين الاسبان حقناً للدماء ، ولكن لورد كرزون وزير خارجية انكلترا ـ المعروف بنزعته الاستعمارية وبعواطفه البغيضة للشرق والشرقيين ـ لم يسمح بمقابلة هذا الوفد ، ورده الى بلاده مزوداً بالخيبة والفشل ، بعد أن أقام خمسة شهور بانكلترا .

وقد اذاع الوفد المناشير والقى الخطابات فى الانديه والمحافل وبث الدعاية في كل مكان ، ولكنه لم يلق أقل نجاح ، لانه شرقى !

حمل المتزوجين على اضافة أرملة واحدة الى زوجاتهم . وهذا العمل لعمري من أجل الاعمال التى تعود على الشعب الريفي بالفوز والنجاح

وصرح الوفد أثناء اقامته لمحرر مجلة (قبلة المسلم) بمايلي :

اننا قمنا ولله الحمد بأعمال حسنة متبعين فى حربنا مع أعدائنا الاسبان تعاليم القرآن الكريم وأعمال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . اننا على ثقة من انتصارنا النهائى الذى يتوقف عليه استقلالنا وحياتنا .

ان اسبانيا بعد أن فشلت بحربها معنا عمدت الى الحصار البحرى وأخذت ترمى قرانا بقنابلها مستعملة حرب الجبن والدناءة . فلا يقع فى يدها أسير منا الا وتمثل به أفظع تمثيل [1] بينما نحن لا نعامل اسراها الا بالحسنى على أن أعمالها الهمجية اضطرتنا بأن نهدد بمدافعنا جزيرتى (الحسيمة وبنون) الواقعتين أمام شواطئنا وبذلك قضينا على أعمال الاسبانيين البحرية وأجبرناهم على الابتعاد عن السواحل .

نحن اليوم نتألم من الحرب على أن هذا الألم نستعذبه فى سبيل سلامة واستقلال بلادنا . ولقد وفدنا الى اروبا وبودنا اسماع صوتنا وشرح قضيتنا الى العالم المتمدن .

وانا لنؤمل أن تعطف أروبا على قضيتنا العادلة وتردعها فظائع الحروب التى نأباها وما زالت بلادنا حائزة على سعادتها ومحافظة على كرامتها . وانا لنستصرخ العالم الشرقى ونرجو أن لا تنسيه إيانا حوادثه الاخيرة ؛ فان حوادثنا لا تقل خطورة عن تلك ، خصوصاً وان الريف قاعدة شرقية ذات قوة وثبات لا يستهان بهما .

وأفضى الوفد أيضاً بحديث لمراسل مجلة (صدى الاسلام) الباريزية هذا تعريبه :

« اذا كنا نحارب اسبانيا فهو كما يعلم ذلك كل أحد لاجل دفعها عن ديارنا التي هي طامحة اليها منذ القديم . فاذا كانت اسبانيا ترجو لين قناتنا بطول الوقت فانها تخطىء في ظنها ، لان الشعب الريفي لا يضن بشىء فى سبيل حقه المقدس . ولقد استصرخنا الامم المتمدنة التي زعمت أنها خاضت غمار الحرب العامة لاجل الدفاع عن الحرية والحق والعدل ، فأصمت هذه آذانها عن سماع كلامنا .

« أما من الوجهة الحربية فنحن على تمام الاهبة وملتفون عصبة واحدة حول زعيمنا العزيز ولدينا بنادق وقنابل ومدافع حديثة الطرز وكمية لا تفنى من العدة . وجيشنا تحت قيادة ضباط شبان متعلمين أذكياء كلهم يتلقون الاوامر من ابن عبد الكريم الذي يباشر كل شيء بنفسه

(١) كأن أعمال ديوان التفتيش في القرون الوسطى لم تكن كافية

« فمن الوجهة العامة حالتنا ولله الحمد مرضية جداً ، وسنة ١٣٤٠ كانت علينا سنة خيرات وبركات اذ اننا كنا نشترى أي صنف من المأكولات أرخص بخمس مرات مما هو فى بلاد الجزائر . وكذلك الامن العام تام . ففى طول السنة وقع عندنا حادثة قتل وحادثة سرقة لاغير ، وان الشريعة جرت مجراها ، لانه قبض على القاتل وحوكم وقتل وعلى السارق فقطعت يده اليسرى .

« وبالجملة فلنا اليقين التام بكون النصر النهائى سيكون لنا بحول الله وقوته » .

﴿ الريفيون والمسلمون ﴾

واذاع الوفد المذكور وهو بلندن خطاباً وجهه الامير الى العالم الاسلامى هذا نصه :

« في العام الفارط عقب انتصارنا على جنود الاسبان رفعنا شكوانا اليكم فى جمل وجيزة وعبارات قصيرة من تعدى هاته الامة وتحامل رجالها العسكريين على وطننا . واليوم نعود الى الكتابة ثانى مرة مستصرخين بكم ومستجدين لمراحمكم عسى أن يصادف استصراخنا اذناً صاغية ، وقلوب شفقة وحنان .

يا اخواننا بناء على ماتعلمونه من المعاهدات الدولية ونصوص مؤتمر الجزيرة الخضراء جاءت اسبانيا بدعوى الاصلاح فى العام التاسع من هذا القرن المسيحى وأشهروا على وطننا الحرب وجردت على الريف حملة عسكرية تتألف من تسعين ألف مقاتل كاملة العدة والعدد واتخذت جميع الوسائط العنفية والمواد المهلكة لافناء هاته الفئة القليلة من الريفيين وحاربتهم بهذه الكيفية وبهاته الوسائل المدمرة مدة ثلاث عشرة سنة وقد أتى ضباط العسكر من هذه الامة الفاتحة خلال هاته المدة من ضروب التوحش وأنواع الهمجية مايتحاشى القلم عن ذكره وتمجه أسماع الانسانية .

خربوا الديار ، وغصبوا الاملاك ، واستحيوا النساء ، وقاتلوا الرجال ، واضطهدوا الدين وهتكوا الاعراض ، وساموا الاهالي من صنوف العذاب ألواناً . وكلما حاول مظلوم منا أن يبلغ شكواه للمراجع الاسبانية العالية قوبل بالاستهزاء والسخرية . هكذا قطع الريف الحر الذى عاش حينا من الدهر شريفاً مستقلا في دينه وحقوقه ثلاث عشرة سنة وصراخه دائماً كان صياحاً في واد حتى ضجر ومل واستسهل الاستشهاد وقام على بكرة أبيه ليدافع عن حقوقه المهضومة وتحقق أن الهروب من الموت موت . وأن لانجاة الا فى تجريد السلاح ومقاومة هؤلاء الظلمة حتى أحرز الريف ذلك الانتصار الذى رددت صداه جرائد المعمورة قاطبة وانكسر الاسبان

ورد الى حدوده القديمة التي لاتبعد عن مليلة أكثر من أربعة كيلو مترات وترك في يدنا مالايخفى عليكم من الذخائر الحربية والاسلحة الكثيرة والاسرى الذين لايزالون فى قبضتنا وتحت حكمنا وأيدينا . وقد جرد بعد ذلك مائة وخمسين ألفاً من المقاتلين وضاعف الاستمدادات الحربية والمواد المتفرقعة وعاد الى قتالنا ولكن هو الحق ابى الله تعالى الا أن يظهره على الباطل فلم يدهش الريف بل زاد قوة وبأساً . فاشتد ساعده ونشط ثانى مرة للقتال ووقف في وجه هذا الظالم فلم يستطع أن يجاوز الحدود التى وقفت فيها جيوشنا من ذلك التاريخ . هذه هي الحالة الى اليوم .

نعم تعلمون ياأخواننا ان الدين هو أقوى الروابط وأمتن علائق المؤاخاة ، والاخ لابد أن يرحم أخاه ويشفق من حاله ويؤازره في الشدائد ، خصوصاً في هذا العصر الزاهر الذى تأسست فيه الجمعيات الخيرية وانعقدت الشركات الدينية بل البشرية للمؤاساة ومساعدة المنكوبين .

وقد جرأنا على الاستصراخ اليكم مايصلنا اليوم عن نهضتكم الجديدة وانتعاش العالم الاسلامى وقيامه للمطالبة بحقوقه ومجاراة الامم المتمدنة فى تنازع البقاء والاحراز على مركز فى المجتمع الدولى في أن تعضدوا دعوانا وترفعوا معنا الصوت الى ممالك اوربا التى كررنا اليها الشكوى أيضاً .

نريد أن نصرح لكم اننا نطالب باستقلالنا ، وحرية وطننا ، استقلالا تعترف به الدول التى تدير دفة العالم .

وهؤلاء سفراؤنا المفوضون المعربون عن الشكايات : عبد الكريم الحاج علي ومحمد بن محساوى . والسلام

محمد بن عبد الكريم الخطابي

﴿ ماذا التقاطع بينكم ﴾

واذاع الامير منشوراً على جمعيات الهلال الاحمر هذا نصه :

الى جمعيات الهلال الاحمر ،

اذا كان التمدن الحديث قد أحدث جمعيات خيرية ورأى من الواجب الانسانى مؤاساة الضعيف والاخذ بيده وتخفيف ويلات المصائب التي تتعاقب على هذا الانسان المسكين فها هو الدين الاسلامى الذي أتى لاجل سعادة البشر فى هاته الدار وتلك الدار يصرح فى غير ما آية من آيات الكتاب

الكريم بوجوب التعاون والتكاتف والتآزر بين المؤمنين . وبين أيضاً أن الجنسيات والقوميات لاأثر لها بعد الايمان والتوحيد فقال « انما المؤمنون اخوة » وقال « وجعلنا كم شعوباً وقبائل لتعارفوا » أي لاجل أن يحصل التعارف بينكم ويميز بعضكم بعضاً بالاسم والا فالاخوة حاصلة بالايمان الذى هو أقوى الروابط وأوثق العرى . وبناء على هذا فاننا نناشدكم أيها الاخوان باسم الدين وشواعر الملة السمحاء ونلفت أنظاركم الى هذا الشعب الريفي المسكين الذى تسلطت عليه أمة الاسبان فكابد الحرب مدة ثلاث عشرة سنة من غير مال ولا عدة ، نسترحمكم باسم الريفى أخيكم في الدين الذي يتألم لالم ثلثمائة وخمسين مليوناً من المحمديين ويسر لسرورهم أن تعتبروه عضواً من أعضاء جسدكم، وتفتحوا اكتتاباً لمساعدة جرحاه وتخفيف مصائب الحرب .

يسوءنا وأيم الحق أن نرى جمعية الصليب الاحمر من الامم النصرانية من غير تمييز جنسية ولاقومية تهتم بجرحى الاسبانيين واسراهم الذين بقوا فى أيدينا وتبعث لهم الكميات الوافرة من الدراهم وترسل لهم الاطباء ليقوموا بمداواة جرحى الاسبانيين . وليس لنا من جمعياتنا الخيرية من يصلنا .

هذا ماأردنا انهاءه الى مسامعكم فعساكم أن تلتفتوا بقلوب ملؤها الشفقة والحنان والله يجزى ذوى الخير بالخير ويعوض المؤمنين وأهل الاحسان درجات والسلام »

محمد بن عبد الكريم الخطابي

وقد أعاد الامير الكرة بطلب النجدة ودعوة الشرق لان يقوم بعمل انسانى واجب فيبعث بارسالية طبية لمعالجة الجرحى من المغاربة الذين يكافحون عن حريتهم واستقلالهم ويحاربون دولة اوروبية قوية بقلوب مليئة بالايمان ، وصدور تفيض شجاعة وبسالة .

ولكن هذه التنهدات وذلك الانين الذي تردده العرب اليوم فى المغرب الاقصى فتشق رناته الحزينة البحار والبرارى لايجد الا آذاناً صماء لاتسمع نداء ولا تلبي دعاء .

﴿ تصريحات الامير ﴾

أفضى الامير ابن عبد الكريم الى المستر (وردبريس) مراسل الديلى ميل الانكليزية عن الثورة التي يتوخاها من قيامه ، بحديث طويل نقتطف منه مايلي :

نحن قوم نحب السلام ولكننا نأبى المذلة والضيم . وهانحن قد عاهدنا الله والشرف العربي

أن ندافع عن استقلالنا الذي يهدده الاجنبي الغاصب غراماً بالاستعمار الممقوت من جميع الشعوب الابية الحرة ، نحن لانحب الحرب ونحبذ السلام مع استقلالنا التام وعدم الخضوع لسيادة الاجنبي القهرية المهينة . وقد تفاوضت منذ عامين مع العدو بواسطة أحد قواده المدعو (جيربو) بمليلة وأفهمته أنى مستعد لمنح دولة اسبانيا امتيازات اقتصادية كثيرة تعود عليها بالخير والمنفعة اذا اعترفت باستقلال بلادي وعاملتها معاملة الصديق لصديقه لامعاملة السيد لخدمه وعبيده ولكنها رفضت ومع كل هذا فاني لم أزل مستعداً للمفاوضة حباً فى السلام على شرط اجابة مطالبنا العادلة ، أما اذا أراد عدونا حرباً فلتكن حرباً أبدية بيننا ولتهدر دماء الابرياء على مذبح استعمارهم الوحشى البعيد عن الانسانية وفى سبيل مطلبنا المشروع . ولايخفى على دول اوروبا أن تحقيق استقلالنا له ميزة كبيرة ستعود عليهن جميعاً بالمنافع الجزيلة فبلادنا الغنية بمناجم النحاس والفحم والحديد ستفتح أبوابها لمعاونة الشركات الاجنبية التي نحن فى أشد الحاجة لرءوس أموالها وبذا يمكننا أن نفيد ونستفيد بكنوزنا الطبيعية .

وأذاع الامير في شهر أغسطس سنة ١٩٢٣ منشوراً قال فيه :

ان الريفيين قادرون على حكم بلادهم ومستعدون أن يبرهنوا كما برهن الترك على أنهم يستطيعون بلوغ مرامهم بقوة ساعدهم . ان جمهورية الريف التي أعلنت سنة ١٩٢٠ ليست معادية للاسبانيين اذا كانوا يعترفون باستقلال الريفيين

﴿ في سبيل السلام ﴾

بذل الامير كثيراً من الجهود السياسية كما يبذل من الجهود الحربية لارجاع السيف الى غمده وحقن الدماء وايقاف الطامعين المستعمرين عند حدهم ، والاعتراف باستقلال بلاده فارسل فى شهر رمضان ١٣٤٢ ـ ابريل سنة ١٩٢٣ مع المستر ورد بريس مكاتب جريدة الديلى ميل كتاباً الى المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية هذا نصه :

« تبذل حكومة الريف كل نفيس فى هذا الصراع الدموي المؤلم ، وتجاهد فى سبيل استقلال بلادها الذي يهدده الاسبان الظلمة المعتدون على حقوق الانسان الى آخر رجل . . انني أكتب لك باسم الانسانية المعذبة لتتوسط بيني وبين العدو المعتدي حتى تنتهي هذه الحرب المرعبة التي تفتك بنفوس بريئة وها أنا اصرح لك بصفتي أمير الريف المعترف به انني مستعد أن أرسل

من قبلى مندوبين فى المكان و لزمن الذي تحددونه للمفاوضة فى شروط الصلح ، على أساس استقلال امارة الريف استقلالا تاماً وحفظ كرامتها كاملة حرة والا فالحسام خير حكم بيني وبينهم والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء » .

وقد اهتم مستر مكدونلد بهذا الامر باديء بدء بعض الاهتمام ، ولكنه أهمله أخيراً لاسباب لا تعلم .

ولما رأى الامير ان كتابه هذا لم يسفر عن نتيجة ارسل اليه الكتاب الثاني :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

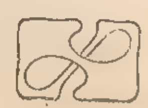
الى حضرة الوزير المكرم السير رامزي مكدونلد رئيس الوزارة الانكليزية ،

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

نعرض اننا قد أتينا بكتابنا هذا لكى نسألكم باسم الانسانية ان تخابروا الدولة الاسبانية لكى تسحب جنودها من بلادنا الريفية فاذا فعلت هذا يكون لكم الاجر والثواب بحقن دماء العباد ، واذا أبت فان السيف بيدنا والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء والسلام :

محمد عبد الكريم الخطابي

ولكن رئيس الوزارة البريطانية اهمل الكتابين ولم يأبه بهما مما جعل القنوط يتسرب الى ابن عبد الكريم من توسط اية دولة فى انهاء الحرب والعودة الى السلم. فعول حينذاك على مخاطبة جمعية الامم طمعاً بمناصرتها له فى تأييد استقلاله . وقد حاول أن يصل الى هذا الغرض بواسطة الحكومة البريطانية أيضاً ، فخاطب الوكالة البريطانية فى طنجة غير مرة طالبا ان يؤذن له ببسط قضيته لجمعية الامم ، فامتنعت الوكالة البريطانية عن التدخل خوفاً من مس شعور صديقتها اسبانيا وهكذا ذهبت مساعي ابن عبد الكريم السياسية أدراج الرياح .



الفصل الثالث

حرب الريف ونتائجها

﴿ الجيش الريفي ﴾

لقد قلنا في الفصل السابق ان الامير ابن عبد الكريم هو نابغة المغرب في هذا العصر وبطله العظيم وأثبتنا بالوقائع والحوادث مقدرته الادارية وحنكته السياسية التي رفعته الى هذا المقام . واليوم نريد أن نبحث عنه بصفته قائداً باسلا ، ومنظما حربيا ، بحيث يتجلى للقاريء في هذا الموقف بطولته باجلى مظاهرها ويستبان نبوغه الفائق وبراعته الخارقة في تكوين الشعب الريفي واشعال قلوب مواطنيه بلهيب الوطنية والغيرة والطموح الى الاستقلال والتعطش الى الحرية ، فقد اوجد كل شيء من لا شيء ، وكون من ضعف قومه قوة ، وخلق جيشاً حربيا منظماً سحق به قوى عدوه سحقاً يذكره تاريخ البطولة العربية مقرونا بالاعجاب والاكبار .

كانت معاهدة ١٩٠٤ وماتلتها من اتفاقات شؤماً على بلاد المغرب ، فقد قضت على حريتها واستقلالها وسلبت المغاربة حق الحياة ، وماذاع نبأها حتى هاجت الافكار في المغرب ، وثارت الخواطر ، وقامت العصابات والفتن من ذاك الحين كما ذكرنا فيما تقدم ، فكانت حروباً غير منتجة لانها ليست منظمة ولا موحدة ، وكان المغاربة ينتظرون الوقت المرهون الذي يظهر فيه الزعيم البطل ليوحد كلمتهم ، ويجمع شتاتهم وينقذهم من هذه المصيبة العظمى . فأرسل الله اليهم ابن عبد الكريم الخطابي ، فكان بطل الريف ومنقذها المفدى .

يقول مونتسكيو : ان معين الذهب والفضة ينضب ، اما الفضيلة والثبات والقوة فقلما ينضب معينها .

قام الامير للذب عن حياض وطنه وتخليص بلاده من براثن الاستعمار وهو عالم بان أعداءه يتسلحون بالاصفر الرنان وبان بني قومه لا يملكون من هذه العدة شيئاً ، ولكنهم يتسلحون بالفضيلة والثبات وقوة الايمان ، فكانت له هذه الخصال التي لا تنضب خير مشجع للقيام بدوره العظيم الذي حباه الله به ، فقام هو وحفنة من اصدقائه يعمل على تمهيد الصعاب وتذليل العقبات

فسلس لامره قياد العصابات الجموحة والقبائل الثائرة ، وانقاد الشعب الريفي برمته لارادته ، فنظم منه جيشاً لجبا منظما تمكن من قهر دولة اروبية كبيرة في اساطيلها وطياراتها ، عظيمة فى ذهبها ودنانيرها ، ولكن هذه العظمة وتلك الكبرياء اضمحلتا أمام قوة الفضيلة والثبات والوطنيه الصادقة .

هنا وفى هذا المقام تتجلى بطولة الامير ابن عبد الكريم ونبوغه النادر . اذ كيف يتأتي لرجل ان يجمع شتات شعب لم يخضع يوما لاحد ، ويوحد كلمته ويحوله الى جيش منظم يسير وراءه الى مواطن القتال والكفاح مالم يكن بطلا نابغة .

اليست البطولة والنبوغ هى قوة سحرية تلعب بالالباب وتفعل فى النفوس فتأتي بالخوارق والاعاجيب ؟ ويقوم اصحابها باعمال فذة فى حوادث التاريخ قلما يرى لها مثيل بصعوباتها ومشاكلها التي لاتعد ولاتحصى ؟

﴿ التجنيد العام ﴾

اهتمت الجمعية الوطنية اهتماماً عظيما فى مسألة الجيش ، فجعلتها فى مقدمة القضايا التي يجب معالجتها ووضعها فى صيغة تمكن الشعب الريفى من الوقوف امام دولة أوربية قوية ، فأقرت التجنيد العام بحيث اصبح كل رجل فى الريف مكلفا بالدفاع عن بلاده بدون اجرة ، وخولت الامير ابن عبد الكريم السلطة التامة فى اختيار الطريقة الملائمة ، وسلمته زمام القيادة العليا للجيش ، وتركت له الحرية التامة فى أمور الحركات الحربية وغيرها من المسائل .

وكان أول عمل قام به الامير هو وضع نظامات لحمل السلاح تنص على ان القواد أو رؤساء القبائل مسؤلون مباشرة للقيادة عن صغار الرؤساء ، وعلى صغار الرؤساء ان يعدوا أفراد الجند ويجعلوهم على قدم الاهبة والاستعداد ، وبهذه الواسطة صارت جميع القوة من الرجال على اتم استعداد فى كل وقت للذهاب الى ساحة الحرب متناوبة مع سواها ، والامير يعين دور كل منها وفاقا لما تقضى به حالة القتال على انه جرت العادة ـ حسب نظام التجنيد ـ ان تخدم كل قوة اسبوعين فى ساحة الحرب ، ثم يعود رجالها الى اشغالهم الزراعية ويحل محلهم سواهم ، وعليه فكل ريفى جندي مستجمع شرائط القتال مستعد دائما للحرب والاحتشاد عند كل طلب وله بندقيته الخاصة به وقد يجاب معها ذخيرتها أيضا ولايتناول من القيادة سوى رغيف من الخبز .

ثم ان الصبية والشيوخ يساعدون المقاتلين في القيام بوظائف الحرس فى الداخل والحدود ، وكثيرا ما ظهرت النساء المغربيات فى صفوف الجيش يشتركن فى القتال ويشجعن الرجال على الحرب وفاقا لتقاليد العرب منذ القدم .

ويقود الجنود ضباط ريفيون درس أكثرهم فى المدارس العسكرية الاسبانية والآخرون تدربوا بواسطة هؤلاء .

وللامير تابور خاص جعله حرسه الخصوصى وبوليسه ، وهذا التابور يحتوى على رجال منتخبين لهذه الغايه يلبسون عمامة زرقاء تميزهم عن سواهم .

وعلى أثر تشكيل الجيش أصدر الامير منشوراً يهدد فيه كل من يعصي أمره ويفر من الجندية بحرمانه من حقوق رعويته ومصادرة أملاكه ، وطلب الى جميع الريفيين الساكنين في المناطق الاخرى العودة الى منازلهم ، فبرحوا ديارهم ملبين دعوة الامير لمقاتلة الاسبان اعداء وطنهم وأمتهم ، هذا عدا القبائل والجماعات التي انضمت الى قوى الامير فاصبح عدد الجيش مئة وثلاثين الف نسمة كامل العدة ولديه مدافع حديثة وطيارات واسلحة وذخائر ابتاع الريفيون بعضها وغنموا البعض الآخر من الاسبان

وللجمهورية الريف سفينة تجارية مسلحة يخفق عليها العلم المغربي ، قامت بدور مهم فى الحرب الحاضرة فضربت بعض الجزر وحافظت على شقة الساحل التى هى مرفأ للحكومة الريفية

ولدى قيادة الجيش الريفي العليا مصلحة استعلامات متقنة تعرف منها اسرار حركات الجيش الاسباني واستعداداته وتقف على الحالة الداخلية في اسبانيا وقوفاً تاماً

وقد ثبت ان ابن عبد الكريم قائد الجيش العام شديد الحذر والانتباه لايبوح بخطته الا عند تنفيذها ، ووضع خططاً حربية هى كمايقول مراسلو الصحف الاوروبية في طنجة قريبة الشبه من الخطط الاوروبية وكثيراً ما يجاري الاسبان على خطتهم ويظل في اخذ ورد معهم يتقدم تارة ويتراجع أخرى لاعتقاده ان طول الحرب في مصلحته وان الاسبانيين سيضطرون عاجلا اوآجلا ، رغبة فى التخلص من النفقات ومن ارسال ابنائهم الى مجزرة الريف ، الى مصافاته والاعتراف باستقلال بلاده ، وقد اتت هذه الخطة بثمار طيبة لانها جعلت مشكلة مراكش في مقدمة المشاكل التي تشغل السياسة الاسبانية . وقد امتدح مراسل التايمس في طنجة هذه الخطة فقال عنها : « انها جلت أسراراً ظهرت منها حكمة الريفيين الفائقة فى اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية

والبدء بالعمل الحربي » .

على ان الامير كثيراً مايختار أوائل شهر ربيع الاول للهجوم على الاسبان ومحاربتهم فى مفتتح كل عام ، وقد يكون لاختياره هذا الوقت غير الاسباب الحربية ، اسباب تاريخية أخري لها تأثيرها في نفوس أعدائه الاسبان وفي نفوس بنى قومه المغاربة ، فقد كان الاسبان ومافتئوا يقيمون في هذا الشهر منذ سنة ٨٩٧هـ الاعياد والحفلات والمواكب فى طول البلاد وعرضها ويخبز نساؤهم الفطير [1] وذلك لمناسبة ذكرى انتصارهم على العرب وطردهم من الاندلس ، والمغاربة احفاد مهاجرى الاندلس ينصبون المآتم والمناحات ويذرفون الدموع السخينة على ملك ضاع وعز ذهب . فالامير يقصد من اختيار هذا التاريخ تنغيص الاعياد على الاسبان وجعل فطيرهم زقوماً بالضربات التي ينزلها بجيوشهم ، وتبديل أتراح المغاربة الى افراح الانتقام ودموع الاسى الى دموع سرور .

﴿ تكذيب الامير ﴾

ذكرت الصحف الاوربية ان الامير ابن عبد الكريم يستمد المعونه فى ثورته من بعض البيوتات المالية الاوربية وان في الجيش الريفي ضباطاً من الانكليز والالمان وغيرهم ، وان هؤلاء الضباط هم الذين يدربون الريفيين ويقودونهم فى الحروب والمعارك الى غير ذلك من الاقاويل التي اعتاد الاوروبيون نشرها ، والغاية التي يرمون اليها منها هي الحط من كرامة الشرق واسناد الخوارق التي يبديها الى الغربيين . وعلى أثر ذلك ارسل الامير البلاغ التالي الى مكاتب التيمس فى طنجة بتاريخ اكتوبر سنة ١٩٢٤ يدحض فيه هذه المزاعم . قال الامير :

نشرت بعض الجرائد الانكليزية والفرنسوية ان هناك علاقات وثيقة بين حكومة الريف وبعض الشركات الاوربية وان شركة انكليزية امدتها بثلاثة آلاف جنيه علاوة على معدات التلفون وجميع حاجياتها الحربية التي أرسلتها اليها من أوروبا . ومما قالته هذه الجرائد ايضاً ـ فتجاوزت بقولها حد الاعتدال ـ ان فى الجيش الريفي عدداً من الضباط الاجانب يتولون تدريبه

(١) روى الاستاذ احمد زكى باشا ان النساء في اسبانيا يخبزن بايديهن في يوم معين من السنة نوعاً من الفطير كان نساء العرب قد ابتدأن يهيئنه لمولتهن في ذلك اليوم المشؤوم يوم تسليم غرناطه (٢ ربيع الاول سنة ٨٩٧) واذا بالصريخ قد دوى فى الآفاق فاضطررن لهجر الاوطان وتركن ذلك الفطير على حاله في الافران فجاءت الاسبانيات واكلن خبيزه وقدمنه طعاماً سائغاً لازواجهن من رجال الاسبان

وقيادته. فحكومة الريف تكذب كل ماتقدم تكذيباً باتاً وتنتهز هذه الفرصة لنشر التصريح الرسمي التالي :

لم تعقد حكومة الريف حتى الآن أى اتفاق كان مع شركة اجنبية ، ولم تستمد مالا من الخارج ، اما معدات التلفون التي عندها فقد استولى جنودها عليها مع سائر الذخائر الحربية التي غنمتها في اثناء احتلالها الباهر للمراكز الحربية الاسبانية ونحن نكتفي بصنع قنابل اليد بانفسنا متكلين على اختبارنا المحلي .

ولا صحة لما أكدته الصحف الاوروبية من وجود ضباط اجانب يدربون جيشنا ويقودونه فضباطنا كلهم من الريفيين وهم يدربون جنودنا بمهارة بعد الاختبار الذي اكتسبوه فى معارك شتى ، اما الاجانب الذين عندنا فليسوا سوى الاسرى الاسبان الذين تحترمهم حكومة الريف وتعاملهم معاملة حسنة .

فنحن نرجو من الصحافة الاوروبية ان تكذب بياناتها السابقة وان حكومة الريف تقابل هذا التكذيب بملء الارتياح .

محمد بن عبد الكريم الخطابي

الحرب

اقتصرنا فى بحثنا هذا على ذكر المعارك الكبيرة فحسب خوفا من الاطالة والملل

﴿ سنة ١٩٢١ ﴾

قام الامير ابن عبد الكريم في بدء ثورته بمحاربة الاسبان محاربات غير نظامية ، فالف العصابات وبثها فى طول البلاد وعرضها ، فاتت بأعمال جديرة بالذكر

ولما اعلنت الحكومة الوطنية فى الريف كان أول ما فكر فى اتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الجيش الاسبانى ، أو على الاقل توقيفه في مراكزه ريثما يتم اعداد الجيش وتدريبه وتنسيقه ، فعمل على توسيع نطاق العصابات وتجهيزها بأحدث الآلات الفنية ، فقامت هذه بمهمتها خيرقيام وكبدت العدو خسائر فادحة

وفي يوليو سنة ١٩٢١ — بدأت الحرب المنظمة بين الفريقين في ضواحى مليلة وكان الجيش الاسبانى لا يقل عدده عن ثلاثين الف مقاتل بمدافعها الضخمة واعتادها المتقنة الحديثة الطراز

وطياراتها العديدة ، والجيش الريفي لا يزال في بدء تكوينه ولما يتجاوز عدده بضعة آلاف ، فحدثت معركة في ١٧ يوليو حول انوال ـ عربت دامت ثلاثة أيام بلياليها اشتبك فيها الفريقان بالسلاح الابيض ، فأسفرت عن انكسار الاسبانيين شر كسرة بعد أن استأصل الريفيون منهم (٢٥) الف جندى قتلا واسرا ، وقتل الجنرال سلفستر قائد الحملة وغيره من كبار الضباط ، ووقع الجنرال (نافاوور) مع اركان حربه وثمانية آلاف جندى أسرى بيد الريفيين ، وغنم هؤلاء من الاسبان ٣٠٠ مدفع من عيار ٥ر٧ و(٧٠) ألف بندقية ومقدارا من الاعتاد والذخيرة لا يقع تحت الاحصاء لكثرته ، فكانت واقعة (انوال ـ عربت) ضربة قاضية على الاسبان ، ومن اشهر المعارك التى لا يزال صداها يرن فى تلك الديار

وما ذاع نبأ هذه الهزيمة حتى قامت اسبانيا وقعدت وبقي الملك الفونس الثالث عشر ليالى لا ينام وقام الحزب العسكرى يطلب من الحكومة اجراء تحقيق عن الاسباب السياسية التى افضت الى وقوع هذه الكارثة وجعل يتهم رجالها المسئولين بعدم تلبية مطالب الجنرال برانجر قائد الحملة العام في مراكش ، حيث القت الحكومة المسئولية عليه واحالته الى المحاكمة ، وجرت مشاحنة في هذا الشان في مجلس الشيوخ بين الجنرال اجيليرا رئيس المحكمة العسكرية والبحرية العليا والسنيور سانشه جير احد الوزراء السابقين ووقعت مشاحنة أخرى أدت الى الضرب واللكم بين الجنرال اجيليرا أيضا والسنيور سانشه ده لوكا رئيس مجلس الشيوخ للسبب نفسه .

وبعد سقوط وزارة وقيام وزارة أخرى صحت عزيمة الاسبان على الاخذ بالثار واقسم (دولا سرفا) ناظر الحربية الجديد أن لا بد من قطع دابر الثورة الريفية . فجرد لاجل هذه الغاية ٣٠٠ الف مقاتل

﴿ سنة ١٩٢٢ ﴾

على اثر نكبة (عربت — انوال) ووقوع الجنرال سلفستر قتيلا في ميدان الحرب سارع الجنرال برانجر القائد العام الى منطقة الريف الشرقية لانقاذ القوات المحصورة في ضواحى مليلة والاستعداد لهجوم كبير ، فصرف صيف وخريف عام سنة ١٩٢١ فى عمله هذا ، وبينما كان ينوى الشروع بهجومه الجديد فى أوائل سنة ١٩٢٢ جاء خبر عزله فحمل أثقاله تاركا متاعبه للجنرال برانفور الذي أخذ يعلن فى مجريط انه سينشر الامن فى الريف وسيجعل الذئب يرعى فيه مع الغنم

وعلى أثر وصول القائد الجديد الى بلاد المغرب شرع في تهيئة الخطة التي يريد اتباعها فى حرب الريف والاستعداد لقمع الثورة فيها، وفى أوائل سنة ١٩٢٢ تقدم الجيش الاسبانى للهجوم بقوة لا تقل عن المائتي الف مقاتل مسلحين بعدد عظيمة وممدات وافرة وجميع الجند المنظم من الريفيين لا يتجاوز بضعة عشر الفا فدارت بين الفريقين معارك دامية على طول خط مليلة ـ كوبا ـ الحسيمة ، فكانت الحرب سجالا بين الفريقين تارة يبتسم للاسبان وآونة للريفيين ، الا ان الاسبانيول لم يطأوا شبرا من تلك الارض الا على جثث قتلاهم ، فارتوى التراب بدمائهم بدون ما فائدة

وفي منتصف شهر شباط (فبراير) حمل الريفيون حملة صادقة على العدو فردوه على اعقابه وولى الادبار لا يلوى على شيء بعد ما تكبد خسائر فادحة وفقد كل ما معه من الذخيرة والاعتاد فارتد الى حصون مليلة

ولما علمت الحكومة الاسبانية بالفاجعة عقدت مجلسا حربيا قرر وقف حركات الزحف ، ومباشرة الطرق السلمية مع الريفيين ، فسافر رئيس النظار على أثر ذلك مع ثلاثة من زملائه الى مالقه واستقدموا اليها الجنرال برانفوير المفوض السامي والقائد العام فى منطقة الريف لتبليغه قرار الحكومة ، غير ان الجنرال عارض فى ذلك اشد المعارضة واصر على لزوم متابعة الحرب الى شهر حزيران (يونيو)

﴿ معركة الحسيمة ﴾

بدأ الجنرال برانفوير بهجومه الجديد فى شهر مارس بانزال خمسين الف مقاتل الى الحسيمة ، وحشد قوى عظيمة فى ناحية مليلة للاحاطة بجبل بنى عروس املا بادراك بن عبد الكريم فى أجدر

ابتدأت المعارك فى ليل ١٠ مارس وكان الجيش الاسبانى قد تقدم بادىء بدء بالحذر والانتباه وفاز بالاستيلاء على مواقع الريفيين فى الخط الاول ، فصمد له الريفيون فى الخطوط التى تليها وقاتلوه قتالا عصيبا اسفر عن ارتداده من الخطوط التى احتلها بعد أن تكبد بخسائر تقدر بآلاف من القتلى والجرحى .

وفي ٢٥ منه قام الريفيون بهجوم عام على طول الخط واشتدت المعركة حول الحسيمة اشتركت فيها المدفعية الريفية لاول مرة ففتكت بالجيش الاسبانى فتكا ذريعا وخربت جميع المباني وقد دامت هذه المعركة اسبوعاً كاملا كان فيه النجاح والنصر حليف الريفيين فاصيب الجنرال

برانغوير بجراحتين خطيرتين فى صدره وقتل من جيشه خمسة آلاف مقاتل واسر الريفيون ثلاثة آلاف وغنموا ذخيرة ومعدات لاتحصى

فسافر على الاثر الجنرال المفوض الى بجريلط وقرر اركان حربه العدول عن متابعة الحركات الهجومية فى أجدر وعولت على حشد قواها حول مليلة لاجل توسيع منطقتها حول هذا المرمى

ولكن الريفيين تابعوا هجومهم فدمروا مواقع اسبانية عديدة وأغرقوا لهم بوارج حربية وعطلوا بعضها واشتركت السفينة الريفية فى هذا الهجوم فقصدت بعض الجزر التى هى بازاء البر وضربتها فأحدث ذلك تأثيرا سيئا فى اسبانيا وهاجت الخواطر وقلقت الافكار

﴿ مفاوضات الصلح ﴾

انتدبت حكومة اسبانيا على أثر كارثة الحسيمة السنيور (شيفاتا) المثري الاسبانى لمفاوضة الامير ابن عبد الكريم في عقد هدنة تكون اساسا لعقد الصلح وفك الاسرى الاسبان فسافر المندوب الى اجدر وعقد اجتماعات عديدة مع الامير انتهت بعقد الهدنة وتوقيف القتال مؤقتا وفك اسرى الاسبان مقابل مبلغ تدفعه اسبانيا لحكومة الريف قدره أربعة ملايين (بسيطة [1]) وتسريح جميع مساجين الريف الموجودين لدى الحكومة الاسبانية

ثم دارت المخابرة حول عقد الصلح وانهاء الحرب دامت مدة طويلة لم تسفر عن نتيجة حاسمة لان الامير يشترط الاعتراف باستقلال الريف التام واسبانيا ترفض ذلك وتصر على منح الريف استقلالا داخليا فقط

﴿ سنة ١٩٢٣ موقعة داغيت ﴾

في ٧ يونيو ١٩٢٣ (٢٢ شوال ١٣٤١) هجمت قوة من الريفيين مقدارها سبعة آلاف على خط جبل درسة ـ شَشوان فتقدمت الى الامام واستولت علي مراكز العدو الامامية عنوة وأحاطت بمركز (ترياس) ولم تتخل عنها الا بعد معارك شديدة اشتركت فيها قوة من الاسبان لاتقل عن ثلاثين الفاً خسروا منها الف مقاتل بين جريح وقتيل

ثم وجه الريفيون قواهم على مدينة (داغيت) ، فحدث هنالك معركة هائلة تشيب لها الولدان واصلى الجيش الريفي العدو ناراً حامية وفتك به فتكا ذريعاً يقارب على رواية مراسل التايمس من

(١) البسيطة عملة اسبانية تساوي فرنكا واحداً

فتك معركة غريت ـ أنوال . واصبحت حالة الجيش الاسباني خطرة حتى ان قادته صرحوا بان الموقف أضحى محفوفاً بالصعاب .

﴿ مؤتمر تطوان ﴾

ما ذاع خبر هذه الكارثة في اسبانيا حتى عقد مجلس الوزراء اجتماعات متتالية قرر على أثرها انتداب وفد للمذاكرة مع الامير ابن عبد الكريم في عقد الصلح . فسافر الوفد في شهر يوليو ١٩٢٣ (ذي القعدة ١٣٤١) الى تطوان وطلب الى حكومة الريف ارسال وفد لينوب عنها في المذاكرات التي قررتها الحكومة ، فانتدب الامير اثنين من رجاله حضرا الى تطوان ، حيث عقد فيها مؤتمر للبحث في عقد الصلح مع الريف وانهاء الحرب . وبعد اجتماعات عديدة انفرط عقد المؤتمر دون أن يتمكن من الوصول الى حل المشكلة ، لان الوفد الريفي أصر على تطبيق الميثاق القومي ولم يتزحزح عنه قيد شعرة ودارت بين سكرتير الوفد الاسباني وبين وزير خارجية الريف مخابرات هي من الوثائق الخطيرة في تاريخ حرب الريف والى القارىء نصها :

١ — رسالة الاسبان

من الكاتب العام دون ديكو ساڤيدرا ، الى السيد محمد بن محمد ازرقان :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فنعلمكم انا عند وصولنا لهذه المدينة وصلني كتابكم المؤرخ في ٢٨ ذي القعدة الموافق ١٢ يوليو ، وجواباً عنه نخبركم اني بصفتي رئيساً للجنة التي توجهت للمفاوضة معكم في شأن الصلح لم يتبدل منهاج معاملتي ، فاني كتبت بعض المكاتيب الخصوصية لسيدي محمد بن عبد الكريم الخطابي ولكم رغبة في مواصلة المخابرات على كيفية ممكنة يعني اعتماداً على الاعتراف الناشىء عن تنفيذ العهود الدولية على وجه تام وذلك مانعتقد أنه مرادكم ومراد رئيسكم ولكن القائد علي بدرة وكاتب المرسلين من جانبكم رفضوا ذلك على وجه قطعي . من الملاقاة الثانية الواقعة بين اللجنتين حيث امتنعتم من تسهيل التفاهم معنا رأساً على كيفية مقبولة وأعلمتم القائد ملطار من جزيرة النكور بأنكم في شاطىء البحر أمامنا قد عزمتم على محاربة العسكر التي هي لنا معرة واهانة تتعلق بضيرنا . ان الواجب علينا هو ايابنا ولكن قبل ايابنا يجب أن نعلمكم كتابة انه ان كان مرادكم المفاوضة في الصلح بالنية والصدق فنحن مستعدون دائماً لذلك ، وعليه فنظراً لكتابكم المؤرخ ١٢ الجارى يجب علي أن أقرر لكم أن لا بأس من رجوعنا بقصد مواصلة المخابرات ولكن من الواجب كما هي العادة أن يقدم قبل الاتفاق في بيان المقصود وبناء

على ذلك فمن اللازم أن تكونوا على علم بالمسائل الآتية وهي :

١ — أن تكون المخابرات اما في الجزيرة واما في المركب كما وقعت المخابرة الاخيرة .

٢ — لا يمكن المفاوضة ولا المجادلة فيما يتعلق باستقلال المملكة الريفية ولا في شيء بغير ماهو معقود دولياً من عقد سنة ١٩١٢

٣ — يمكن المباشرة في منح نوع من التبديل ادارياً واقتصاديا في القبائل الريفية وفي الوظيفة والرتبة التي يتمتع بها السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي وحكام القبائل الذين يحكمون تحت نظر جناب المخزن (وكيل السلطان) وحماية الدولة الاسبانية .

٤ — تقع المفاوضة بنوع خاص في شأن توسيع دائرة التجارة والصناعة والفلاحة في القبائل الريفية والاعانات المعنوية والمادية من جانب المخزن وجانب الدولة الحامية .

٥ — تقع المخابرة أيضاً في شأن الضمانات لتملك الارض الواجب منحها لالغاء كل متعاهد ومتعاقد .

فان كنتم توافقون على هذه الشروط فالمرجو من جنابكم أن تردوا لي نسخة منها موقعاً عليها من جانب رئيسكم وحينئذ ترجع اللجنة لاتمام ذلك نهائياً . وأخيراً فأرجوكم أن لا تراعوا منا الا رغبة في الصلح النهائي المستدام وأن تتركوا كل ريب واضطراب وخدعنا اياكم نتمشى معكم بالصدق منعاً لسفك الدماء باطلا ورغبة في أن الريف يكون كما يستحق مركزاً للنجاح والعمارة والثروة والادب لاسبانيا بل للوطنيين الذين يستحقون ذلك غاية الاستحقاق وزيادة على ذلك يجب أن نعلمكم على حسب الامر الصادر من الحكومة الاسبانية ان جوابكم عن كل ماعرضناه عليكم يجب أن يكون في يدنا ضمن مدة ٤٨ ساعة من ساعة استلام هذا الكتاب ونتأسف غاية الاسف ان لم تعيروا سمعاً للحق مما يعود لمنفعتكم وتنحوا من أنظاركم ماهو منفعة حقيقية الآن وتتخذوا طريقاً تهديكم لضرركم وللفضيحة العامة ، فان تماديتم على هذا الغلط فان اسبانيا تتخذ جميع الوسائل الواجبة لاخماد نار هذه الفتنة ولاجراء الاقتضاءات بوسائل لا تختارها أبداً أن تعلق بنظرها فقط توسيع ماعهد اليها من جانب الدول المتمدنة فان كنتم صادقين في كلامكم في الصلح فالمؤمل أن تكونوا مستعدين لاختيار الطريق النافذ للخير والنجاح دون تردد . وبعد امعان النظر في جميع ماذكر وترك كل تهمة اجيبونا عما نعرضه عليكم . سلاماً على الجميع والسلام .

تطوان في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٣ الموافق ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٤١

الكاتب العام

دبكو سبفدريا

٢ – جواب حكومة الريف

الحمد لله وحده

من السيد محمد بن محمد أزرقان الى السنيور ساڤدرا

تحية وسلام . وبعد فاستلمت كتابكم المؤرخ ٣٠ ذى القعدة في الساعة الثانية نهاراً من سابع ذي الحجة الحالي والذى يشبه الاخطار النهائي لنا الامر الذى استغربناه الى النهاية من كل الفصول ومن جميع الوجوه وذلك رغماً من أن القاعدة تقضي بوجوب متابعة المخابرة بواسطة الوفد الذي عيناه والذى يمثل أفكار الشعب الريفى الذي هو عبارة عن أكثر من مليون نفس ويربو عدد المقاتلين منه على مائتى ألف . نراكم تواصلون المذاكرة على طريقة غير رسمية . أما اذا كان ذلك لاجل أنكم ترغبون فى الصلح كما هو مضمون احدى مواد كتابكم فاننا نجد في أنفسنا من الرغبة أكثر من ذلك ولكنه لايمكن لنا الخروج عن القاعدة المعلومة في مثل هذه الشؤون المهمة . نعم بهذه المناسبة أرى من واجبي وشواعري الانسانية وبصفة كونى مكلفاً من النظارة الخارجية لدولة الريف أن أصرح لكم بما يأتي :

ان الحكومة الريفية – التي تأسست على قواعد عصرية وقوانين مدنية – تعتبر نفسها مستقلة سياسياً واقتصاديا آملة أن تعيش حرة كما عاشت قروناً وكما تعيش جميع الشعوب . وترى لنفسها أحقية امتلاك ترابها قبل كل دولة ، وتعد القسم الاستعماري الاسباني معتدياً غاصباً لاحق له فيما يزعمه من نشر الحماية على حكومة الريف . والحالة أن الريف لم يعترف بها أصلا ولن يعترف بها ويرفضها رفضاً ويلتزم أن يحكم نفسه بنفسه ويسعى في نوال حقوقه الشرعية التي لا نزاع فيها ويدافع عن استقلاله التام بكل الوسائل الطبيعية ويحتج أمام الامة الاسبانية وعقلائها الذين يعتقد فيهم أنهم يعترفون بأحقية مطالبنا المعقولة الشرعية قبل أن يجازف الحزب الاستعماري الاسباني بدماء أبناء شعبه في سبيل مطامع شخصية وادعاء حقوق موهومة ، طالما أن الحزب الاستعماري الاسباني يخدم مصالح الغير . ولو انه يحاسب نفسه وضميره لوجد نفسه مخطئاً . وانه عن قريب يرى أنه قد تسبب لامته في الخسارة بسبب تطاوله الى الاستعمار ، والاستعمار لايوافق مصلحته . فالواجب عليه أن يتلافى الامر قبل أن يعسر تداركه . ونحتج

الحكومة الريفية على كل عمل اعتدائي يصدر من الحزب الاستعماري الاسباني أمام العالم المتمدن وأمام الانسانية وتتبرأ من كل مسؤولية وعهدة فيماعساه أن يقع من اتلاف الارواح والاموال ، هذا واننا نعجب أيضاً كيف انكم تجاهلتم أن من صالح اسبانيا نفسها مسالمة الريف والاعتراف بحقوقه واستقلاله والمحافظة على علائق الجوار وتمتين عرى الاتحاد مع الشعب الريفي غوضاً عن التعدي عليه واهانته وهضم حقوقه الانسانية والشرعية طبقاً لناموس العمران ووفقاً لمعاهدة فرساي الواقعة بعد الحرب العظمى العالمية — تلك الحرب التي تعلم منها الانسان نتائج التعدي والغصب والعجرفة وعلم العالم انه لاسبيل الى اهانة الانسان وانه من الواجب العقلي الطبيعي ترك كل أمة وشأنها لتدير أمرها بنفسها ـ وان الجبروت والقوة يصيران كل شيء أمام الحق ـ تلك المعاهدة التي خطها رؤساء دول عظيمة خاضت غمار الحرب وذاقت كاس الوبال بنفسها فلم يسعها فى آخر الامر الا الاعتراف بالحق ومنح الشعوب حقوقها مهما كانت صغيرة ، ورغما عن ان الساسة يقولون ان المعاهدات حبر على ورق ـ وان الحق للسيف ـ فالحق انه لا بد من التوفيق لانجاز المشروع والا فلا يزال العالم في الارتباك والحيرة والاضطراب الذي يهدد السلم العام اذ كل شعب يناضل عن حقه ويطالب بحريته ؛ اذاً لاعار على اسبانيا اذا عاشت فى وئام مع الريف بعد الاعتراف بحكومته واستقلاله ومبادلة المصالح المشتركة بل يكون لها حينئذ الافتخار والشرف ويكون في تاريخها نقطة بيضاء . ومن جهتنا فان الحكومة الريفية مستعدة لان تتلقى بكل مسرة تغيير خطة الحزب الاستعماري العدائية وترجى بكل رغبة زوال سوء التفاهم الذي كان منشأه الخروج عن نقطة الاعتدال والتعصب المذموم وعدم التبصر والتأني والنظر فى عواقب الامور فى وقت كانت الانفعالات النفسانية الخبيثة متحكمة كما ان الحكومة الريفية تأسف كل الاسف اذا تمادى الحزب الاستعماري على التعدي والتعاظم والتحكم .

تصوروا انكم أنتم لوكنتم المهاجين فى دياركم من اجنبي يريد السيطرة عليكم وامتلاك رقابكم، هل تكونون من الخاضعين لذلك الفاتح ولو ادعى من الحقوق ما ادعى ، وزعم مازعم ؟ لا اخال الا انكم تدافعون عن انفسكم حتى بنسائكم وكل قواتكم ولا ترضون الاستعباد ، والتاريخ يشهد لكم بذلك . تصوروا كذلك الريف وكل رجاله يعتقدون اعتقاداً متيناً انهم يموتون فى سبيل الحق ويدافعون عن شرف ما فوقه من شرف ولا يرجعون عن هذا الاعتقاد حتى يرجع الحزب الاستعماري الاسباني عن سوء نيته أويموتوا عن آخرهم . لايسعنى الا ان أصرح لكم تصريحاً

نهائياً ان الريف لا يعدل ولا يغير خطته التي سار عليها الوفد وهو انه لا يفتح المخابرة فى الصلح الا على أساس اعتراف اسبانيا باستقلال الريف .

أما التخريب العسكري الذي أجريناه فى شواطيء العكور وقد قدمنا لكم الاعلام به فليس صادراً عن سوء قصد ولكنه كان وفاقياً واعلمنا كم به قياماً بواجب الهدنة التي كانت بين الطرفين

محمد بن محمد ازرقان

وحيث ان هناك بونا شاسعاً بين مطاليب الريف والاسبانيين فقد اخفق المؤتمر وعاد المندوبون الى بلادهم .

﴿ معارك شهر أغسطس ﴾

بعد انفضاض مؤتمر تطوان بدون نتيجة طلب الجنرال (بوتبزاتيدو) المفوض السامي فى مراكش القيام بحملة عسكرية حاسمة فى الريف فعارض ثلاثة من الوزراء فى مجريط اى تقدم فى مراكش ، ورفض وزير المالية ان يأذن باعطاء النفقات اللازمة فاستقال المندوب السامي وعين مكانه بالنيابة الجنرال (ايشاغ) .

وماوصل المندوب الجديد الى مقر وظيفته حتى قابله الريفيون بحملة عنيفة وذلك فى منتصف شهر اغسطس ، فحاصروا (فرنو ، وتفر ، وسيدي ادريس) حصاراً شديداً ، فأحدقوا بمراكز الاسبان الامامية ومنعوا عنهم المئونة والذخيرة واجهزوا على طليعة جيش العدو فأبادوها عن بكرة أبيها .

ثم سير الريفيون جيشاً يقوده الامير بنفسه على خط شفشاون ـ تطوان فقطع خط الاتصال بين الوحدات الاسبانية واحرج موقف العدو فاحدث ذلك ذعرا فى اسبانيا وصدر الامر بالغاء جميع الاجازات العسكرية وتمرد الجنود والاسبان في مالقه معترضين على السفر الى المغرب الاقصى ، وقامت الاحزاب الاشتراكية ونقابات العمال باعتصاب عام ضد الحرب فاستحوذ القلق العظيم على رجال حكومة مجريط مما اضطرها لان ترسل اثنين من العائلة المالكة الى ميدان الحرب تهدئة للخواطر ، ولاضرام نار الحماسة في نفوس الجند ، وطلبت الى المندوب السامي اجراء المفاوضات مع ابن عبد الكريم لقصد الهدنة ، فأرسل المندوب بطلب الامير للاجتماع معه ،

ولكن الامير رفض الذهاب اليه بنفسه واوفد رجلا بالنيابة عنه ، وهذا أبلغ الجنرال ان الامير سيد البلاد ، فهو فى مركز مماثل لمركز ملك اسبانيا ولذلك لم يأت بنفسه ، بل أرسل رجلا يمثله كما تمثل انت ملك بلادك ، وهو لا يفاوض سوى الملك نفسه ، وهكذا ذهبت مساعى الاسبان أدراج الرياح .

وابتدأ زحف العدو فى ٢٣ منه من مواقعه وسارت جنوده نحو زيارة فيتفارين محاولا اجلاء الريفيين عن مراكزهم ، فصمد الجيش الريفي وصد الاسبان مرات تجشم من جرائها المشاق والمتاعب على حين ان قوة الاسبان لاتقل عن ثمانين الف مقاتل ، ويقابلها سبعة آلاف من الجند المنظم الريفي ومثلها من القبائل .

وفى ٢٥ منه اشتبك الفريقان على أبواب تيفارين وهجم الريفيون على العدو بالمدى والهراوات وظهرت النساء بين صفوفهم يشتركن في القتال ويشجعن الرجال على الحرب بالزغاريد ، وكانت الطيارات والمدفعيات والبوارج الاسبانية تطلق قنابلها من الحسيمة بقصد لفت نظر الريفيين عن موقع الهجوم الحقيقي فدمرت قرى ودساكر ، وبعد معركة دامت تسع ساعات متتالية تمكن العدو من فك الحصار عن المدينة . تاركا فى ميدان الحرب مايقارب من ثلاثة آلاف قتلى ومثلها اسرى بيد الوطنيين فقوبل انقاذها فى اسبانيا بحماسة شديدة وارسل الملك والملكة برقيات التهاني للجيش .

وفي ٢٩ منه دخل ثمانون من الوطنيين مدينة (تطوان) ليلا بعد ماأخفى أفرادها السلاح تحت أثوابهم وأطلقوا الرصاص فجأة في الشوارع فقتل من الاسبان عشرة وجرح ٣٤

وأعاد الريفيون الكرة على العدو في ٣٠ منه واحتلوا بنى حسن وأبادوا تابوراً اسبانياً برمته مع قائده ، وهاجموا الخيالة الاسبانية في (كيكسوان) وأماكن أخرى وضيقوا الحصار عليها وقطعوا المواصلات مع (تريازه وافرو) فاصبحتا في معزل تام عن الجيش ولم يقدر الاسبان على رفع الحصار عنها الا بعد جهد جهيد .

﴿ الانقلاب في اسبانيا ﴾

قلنا فى مواضع مختلفة ان الحرب الريفية صارت شوكة في حلق الاسبانيين ، وان القلق استحوذ على الرأى العام ، والسخط والتذمر اشتدا فى اسبانيا ، حتى أصبحت الحكومة عاجزة

عن صد التيار فكانت الكارثة الاخيرة من أكبر الاسباب التي حملت الجنرال دي ريفيرا على القيام في وجه الحكومة والتمرد عليها في برشلونه ، فاستقالت الوزارة على الاثر وتبوأ الجنرال مقعد الحكم مكانها .

وما تقلد زمام الامور حتى صرح بأن حكومته قررت نهائيا قمع ثورة الريف والقبض على زعيم الثوار ابن عبد الكريم ، وانها عهدت في القيادة العليا الى الجنرال (ايزبورو) وزير الحربية الاسبق وخولته السلطة الواسعة ، الى غير ذلك من عبارات الاطمئنان .

سنة ١٩٢٤

في شهر مارس (شعبان ١٣٤٢) زحف الجيش الريفي بقيادة الامير ابن عبد الكريم متجهاً نحو مليلة ، وسارت فرقة من الريفيين نحو ششوان — تطوان لمهاجمة خطوط المواصلات الاسبانية ، فقطعوها واحتلوا مواقع العدو الامامية ، وخرق الجيش الذي يقوده الامير خطوط العدو الى أن أصبح على أبواب مليلة ، فسارت كتيبة من هناك الى الغرب ؛ فاخترقت خطوط الاسبان في (تزيارة) وأحدقوا بها من كل جانب واندسوا منها متجهين نحو (ميدار) فذعر الاسبان ووقعوا في حيص بيص وجاءتهم النجدات من اسبانيا ، وحملوا على الريفيين حملة شديدة ، فقابلهم المغاربة بالمثل وألقت طياراتهم القنابل على مدينة مليلة فأحدثت حريقاً في بعض احيائها ، وسلطوا مدافعهم على الساحل فأصابت الطراد (كاتالونيا) وقتل قائده ، ولم يقدر الاسبان على فك الحصار عن مدينة مليلة الا بعد أن تكبدوا الخسائر الفادحة ، أما حصار مدينة (تزياره) فقد طال حتى شهر مايو .

تصريحات ملك اسبانيا

نشرت جريدة (الفيغارو) الفرنسوية بتاريخ مايو سنة ١٩٢٤ حديثاً للملك الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا نقتطف منه ما يلي :

سأله المراسل :

— هل جلالتكم راضون عن الاتفاقات المعقودة مع فرانسا ؟

— أرغب في أن أكون دائماً على اتفاق مع فرانسا . والاتفاقات التي أبرمناها منذ سنة ١٩٠٦ هي أفضل دليل على هذه الرغبة .

— حتى اتفاق طنجة ؟

— ان نظرة سطحية الى خريطة المغرب الاقصى تكفيني مؤونة الرد على هذا السؤال ، فانه لم يبق لنا من البلاد المشمولة بحمايتنا ومساحتها ٢٠٠ ألف كيلو متر مربع سوى ١٨ ألفاً ، أما الالوف الاخرى من الكيلو مترات فقد استفاد منها غيرنا ، وهذا سبب آخر يحملني على أن أكون دائماً على اتفاق مع فرانسا .

— هل تعتقدون أن في وضع خطة مشتركة للعمل في المغرب الاقصى فائده لاسبانيا ؟

— لاريب في ذلك ، لان احتلال العدو للمنطقتين يجعل الاتفاق على محاربته من أعظم الامور شأناً .

— هل تفكر اسبانيا فى الجلاء عن قسم من المغرب الاقصى اذا أراد الشعب ذلك ؟

— لم نذهب الى المغرب الاقصى من تلقاء أنفسنا ، بل نحن فيه للقيام بمهمة دولية القيت على عاتقنا ولا يمكننا التخلي عنها .

« تصريحات ديكتاتور اسبانيا »

نشرنا في الفصل الثاني نص الكتاب الذي أرسله الامير ابن عبد الكريم الى المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية بواسطة المستر ورد بريس مراسل جريدة (دايلى ميل) ولما اطلع الجنرال بريمو دى ريفيرا على نص مضمونه صرح للمراسل المذكور بما يلي :

يستحيل عقد الصلح على الاساس المذكور في هذا الكتاب ، فاذا كان ابن عبد الكريم يريد استقلالا ففى وسعه أن يناله تحت الحماية الاسبانية . واذا خضع فاننا مستعدون لمنحه قسطاً وافراً من الحكم الذاتي كما فعلنا مع الريسولي . أما الاستقلال الذي يتخذه عبد الكريم حجة له فغير موجود حقوقياً لان المغاربة في الريف كانوا في كل حين خاضعين لسلطة سلطان مراكش الاسمية وقد انتدبنا السلطان لممارسة هذه السلطة عليهم ، فاسبانيا قائمة بمهمة دولية وقد اعترفت الدول العظمى بحمايتها على شمالى مراكش ، وان فكرة تأليف دولة مستقلة صغيرة همجية على شاطىء البحر المتوسط الجنوبي ليست مدار البحث ، ان كرامة الشعب المغربي تحترم كل الاحترام تحت الحماية الاسبانية ، فسكان المنطقة التي نحتلها احتلالا راسخاً يتمتعون كل التمتع بحريتهم الشخصية وحريتهم الدينية ، ومعيشتهم أفضل بما لا يقاس من معيشة أنصار ابن عبد الكريم » .

﴿ المعارك الحاسمة ﴾

بعد سكون نسبي ساد في ميدان الحرب مدة شهر ونصف قام الجيش الاسباني بهجوم شديد في أوائل مايوسنة ١٩٢٤ حوالي سيدي مسعود ومليلة فقابلهم المغاربة بقوة لاتنثني وصمدوا لهم في مواقفهم فتطاحن الجيشان تطاحنا عنيفاً ، واشتركت كتيبة من الطيارات الاسبانية لاتقل عن سبعين طيارة بالحرب علق عليها العدو آمالا عظيمة . وعبثاً حاول الاسبان في حملتهم هذه اجلاء الريفيين عن مراكزهم الحصينة فذهبت جهودهم أدراج الرياح ، فقد دافع المغاربة فى هذه المعركة دفاع المستميت بالسلاح الابيض ، ودحروا الاسبان عن مواقفهم بادىء بدء ، ولـكنهم اضطروا أخيرا الى الجلاء عن هذه المراكز بعد أن تكبد الطرفان خسائر فادحة .

وفي هذه الاوقات قلبت القبائل ـ القاطنة في المربع القائم بين نهر تطوان والبحر ، ووادي اللو وطريق تطوان شفشوان – ظهر المجن للحكومة فانقضت على جيوشها من كل حدب وصوب حتى أصبحت مراكزها الداخلية محصورة ضمن نطاق من الحديد والنار ، فقد بدأ الهجوم في ٢٨ يونيو على النقطة الاسبانية فى (قبة الدرسة) وحاصر المغاربة حاميتها المؤلفة من أربعين جندياً فأرسلت النجدات بعضها تلو بعض دون أن تتمكن من انقاذهم الا في ٧ يوليو بعد أن جاءوا بقوات كبيرة لهذا الغرض من مليلة ، واحدقت القبائل بمراكز اسبانية أخرى ، وقطعوا عنها المؤن والذخائر .

ولما بلغ خبر قيام هـذه القبائل مسمع الامير ابن عبد الـكريم أرسل شقيقه الامير محمداً الصغير بقوة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل الى الحدود فرابطت في قبيلة غمارة فاشتد ساعد القبائل بمجيء الامير الصغير ، وقامت كلها في وجه الاسبان وهاجمتهم على الخطوط الواقعة بين شفشوان والبحر وأحدقت بمركز (داغيست) ، فأسرعت القيادة الاسبانية الى ارسال النجدات لانقاذ جيوشها المحصورة ولـكنها لم تفز بطائل فاضطرت أخيراً للقيام بهجوم عام لرفع الحصار عن المراكز المحصورة وايصال المؤن الى الجنود الذين فيها فدارت رحى معارك شديدة لم يقع مثلها تقدمت على أثرها الجيوش الاسبانية تقدماً بسيطاً .

وبينما كانت حكومة مجريط تعلن بشائر النصر والفوز جاء الخبر باشتعال نيران الثورة بين القبائل الساكنة بين تطوان ونهر اللو ، وبأن قسما من قبائل جبالا (وهي قبائل الريسولي) قد

تقلدت السلاح وانضمت الى قوة الامير محمد الصغير .

وكانت القوات الاسبانية في تلك الجهة مؤلفة حينئذ من ٤٠ – ٤٥ ألف مقاتل قسموها الى ثلاث فرق رابطت الاولى في أسفل (وادى اللو) بقيادة الجنرال (سيرانو) والثانية فى جهة (سوق الاربعاء) على طريق تطوان — شفشاون بقيادة الكولونيل (ريكلم) والثالثة في مدينة شفشاون نفسها بقيادة الجنرال (جروند) وقد كلف هذا انقاذ القوات المحصورة فى أواسط (وادي اللو) فوقعت هناك معارك شديدة ، حمل فيها المغاربة بقيادة الامير محمد الصغير حملة صادقة ، دامت ثلاثة أيام بلياليها فانكسر الجيش الاسباني شر كسرة وارتد على أعقابه خاسراً .

وفى ٢ سبتمبر ١٩٢٤ علمت حكومة مجريط بفشل الجنرال (جروند)، فعزلته وعينت الجنرال (بوكيادى يانو) بدلا منه ، ولكن الريفيين قطعوا جميع الخطوط الكائنة بين تطوان وشفشاون واستولوا على كل مراكزها . فلجأ الاسبان الى الطيارات لنقل المؤن والماء من قواعدهم البحرية الى مراكزهم التي اصبح معظمها محصوراً وعدل الجنرال الجديد عن السفر لعجزه عن الذهاب الى مكان قيادته ، حيث أصبحت طرق المواصلات بين جميع المدن والقرى الداخلية غير مألوفة ، وبلغت القوات الريفية من الفندن الى العرايش في شواطيء بحر الاطلانطيق من جهة ففتكت بالعمال المكلفين انشاء الخط الحديدى بين طنجه وفاس ، وسدت الطريق بين طنجة وتطوان ودنت من تطوان من جهة ثانية .

ففى هذه الحالة وصل الجنرال بريمودى ريفيرا أخيراً الى الريف تتبعه نجدات كبيرة ، ولكن القوات الاسبانية التي كانت محصورة فى أعالي (وادي اللو) سقطت وباتت القوات فى (قبة الدرسة) نفسها والتى يقودها الجنرال سيرانو تحت الخطر وانقطعت كل صلة لها بسائر القوات الاسبانية من جهة الجنوب ، فاضطر الجنرال بريمو دي ريفيرا أن يأتى بالنجدات بحراً الى سبتة.

﴿ اجتماع تطوان ﴾

عقد الجنرال بعد وصوله تطوان اجتماعا كبيراً حضره اثنا عشر قائداً من قواد الجيش ، فجرت المذاكرة حيال الحالة الحربية ومايجب اتخاذه من التدابير ، وبعد اجتماعات عديدة أقر الحاضرون نشر الاحكام العرفية في طول البلاد وعرضها وحشد جميع مالدى الحكومة الاسبانية من الجيوش وارسالهم الى المغرب الاقصى ؛ والانسحاب من المواقع التي بداخلية البلاد الجبلية البعيدة عن

المركز واذاعة اعلان يتضمن تهديد الاهلين بتدمير القرى والدساكر التي تساعد العصاة (؟) وانزال العقاب الشديد على كل من يؤويهم أو يمد لهم يد المساعدة

﴿تخلية الاماكن الداخلية﴾

وما انفرط عقد الاجتماع حتى باشرت القوات الاسبانية الانسحاب من عدة مراكز كانت على جانب عظيم من الاهمية منها (امتر وتحيبسات ونازا وتاطبوط والقامة) وعشرات اخرى غيرها بعد أن دارت معارك هائلة تشيب لهولها الولدان اهمها موقعة تمزغت التي تبعد عن اسوار تطوان نحو ثلاثة اميال ففى ٢٥ سبتمبر اراد الاسبانيون ان يوصلوا الذخيرة الى مركز تمزغت فخرجوا بقوة كبيرة لحراستها وبينما هم فى اثناء الطريق اذ هجمت عليهم القوات الريفية فنشب القتال بين الفريقين ودام اليوم كله وأخيراً انهزم الاسبانيون واستولى الوطنيون على جميع الذخائر التي بلغت قيمتها مليوناً من (البسيطة) أى ما يقرب من أربعين الف جنيه ، ثم فى فجر اليوم التالى خرجوا أيضاً بذخيرة اخرى مصحوبة بقوة عظيمة من عساكر المرتزقة بقيادة الامير عبد المالك الجزائري ولكن حظ هذه الطائفة لم يكن احسن من سابقتها فبعدما ظلت تحارب طول النهار انهزمت في آخره بعد ما تركت القسم الاعظم من رجالها طريحاً ما بين قتيل وجريح ومن جملتهم الامير عبد المالك نفسه وهكذا دام الحال في الايام التالية .

ولما كان هذا المركز واقعاً امام تطوان فقد وضع العدو المدافع الكبيرة داخل اسوار تطوان وهى التي كانت تمطر الريفيين قنابلها كما كانت طياراتها تلقى عليهم مختلف مقذوفاتها ولكن بدون جدوى ولم يتمكن الاسبان من الوصول اليها الا بعد ان تكبدوا خسائر فادحة . فضاقت مستشفيات تطوان عن جرحاهم فنقلوا ما بقي منها الى سبته ، وقد بقى القطار بين سبتة وتطوان ينقل الجرحي ثلاثة أيام متوالية .

ثم جمع العدو صفوفه ونظم شئونه وزود جنوده بما يحتاجون اليه من زاد وميرة استعداداً لفتح الطريق بين تطوان وشوان وانقاذ المدينة الاخيرة . وأصدر الجنرال ازبورو منشوراً على الجيش يستنهض فيه الهمم ويقوي الروح المعنوية بالاشارة الى ان الاسبان متفوقون على خصومهم من الوجهة المادية ، واهاب بهم أن يظهروا بسالتهم وثقتهم بانفسهم في المعارك الفردية والمعارك الاجتماعية على السواء. ثم ختم منشوره بقوله «لاتهنوا ولا تضعفوا ولا تكن تضحيتكم

بالوطن عديمة الشرف عديمة الفوز ».

وكانت الخطة التي تقرر السير عليها هى ان يهاجم خط شفشاون من تطوان ومن العرايش ـ الفندق في وقت واحد فسارت القوات بقيادة ثلاثة جنرالات احدهم (كسترو) من القلب والثاني (سيرانو) من الجناح الايمن والثالث (بوكيادانو) من الايسر. ولم تصل هذه القوات الى شفشاون الا بعد ان لاقت صعاباً جمة ومشاق عظيمة فى اقصاء المغاربة عنها، ودارت حروب شديدة جرح فيها الجنرال (كاسترو) جرحاً بليغا وقتل اثنان من ياورانه وغنم المغاربة محمول ٧٥ سيارة كبيرة من مختلف الذخائر.

ولكن المغاربة اعادوا الكرة على طريق تطون ـ شفشاون ووجهوا ضرباتهم الى مراكز عديدة حتى اصبحت الحالة تبعث على القلق، وفكر العدو فى اخلاء شفشاون بعد دخوله اليها.

وثارت البقية الباقية من قبائل جبالا فاستولت على مراكز الاسبان على خط عفرين ـ بنى عروس، واحدقوا بالفرق الاسبانية المعسكرة هناك، وقطعوا عليها خط الرجعة المؤدي الى (ازيلا) التي تبعد عن مركز الفرق مسافة عشرين ميلا.

وحاصرت قوة منهم المراكز الامامية الواقعة في (تازروت) مقر الريسولى فقامت القيادة الاسبانية بتضحيات عظيمة لانقاذها او تموينها علي الاقل فلم تفلح.

ولما رأت حكومة مجريط عجز المندوب السامي فى مراكش عن تسكين الحالة عزلته، وصدر الامر بتعيين الجنرال بريمودي ريفيرا الديكتاتور مندوباً سامياً فى المغرب الاقصى علاوة على وظيفته الاصلية، فجاء الى تطوان وعقد مجلساً حربياً كانت نتيجته الجلاء على المدن الداخلية والاكتفاء بالنزول في الموانيء الساحلية التي كان يرابط فيها الجيش الاسباني سنة ١٩١٢، ومفاوضة ابن عبد الكريم في عقد الهدنة للقيام بالجلاء بدون ما خسارة.

﴿ شروط الهدنة ﴾

فانتدب الجنرال بريمو السنيور (شفاتا) المثري الاسباني الكبير لمفاوضة الحكومة الريفية بأمر الهدنة فقبل الامير ابن عبد الكريم المفاوضة لتقريرها وارسل مندوباً عن حكومة الجمهورية الريفية صهره السيد محمد بن حمادي. فعرض المندوب الاسباني الصلح علي أن تترك اسبانيا المواقع التي جلت عنها فلم يقنع المندوب الريفي بذلك وقال ان حكومة الريف تعتبر نفسها منتصرة واسبانيا

مغلوبة ولذلك يطلب غرامة وتعويضات واشترط لعقد الهدنة تنفيذ المواد التالية :

١ — ان تدفع اسبانيا عشرين مليونا من الجنيهات تعويضات .

٢ — ان تسلم اسبانيا لحكومة الريف خمسة عشر طيارة ، ومئة الف بندقية، ومئة وعشرين بطارية مدافع جبلية .

٣ — ان يجلو الاسبان عن مراكش الى حدود مليلة وسبتة .

٤ — اذا قبلت اسبانيا بشروط هذه الهدنة سيبحث فى الصلح ومبادلة الاسرى .

هذه هي الشروط التي طلبها مندوب الريف . ولكن الاسبان رفضوها رفضاً باتاً وامر المندوب السامى بقطع المفاوضات واصدر بلاغا بتنفيذ المادة الاولى من قرار المجلس الحربي وهي القاضية بالجلاء عن ٢٠٠ مركز من مراكز الريف .

﴿ الجلاء ﴾

وفى أواخر اكتوبر باشرت الجنود الاسبانية الجلاء عن المراكز الداخلية طبقاً للخطة التي وضعتها القيادة العليا ، وقد لقى الجيش الاسباني أثناء جلائه صعوبات جمة واعمل الوطنيون السيف فى أقفية الاسبانيين ولم يأت يوم ٢٠ ديسمبر أى يوم انتهاء الجلاء الا وكان الاسبانيون ذاقوا الامرين من المغاربة فتركوا اسلاباً عديدة وقتل وجرح منهم نحو عشرين الف جندي ، بينهم الجنرال (سيرانو) فقد قتل فى طريقه الى تطوان وجرح الجنرال برانجه وغيره من الضباط والقواد

﴿ المنطقة الدولية ﴾

بعد ان تم جلاء الاسبان عن الريف انسحبوا الى الخط الذي يمتد من تطوان على البحر المتوسط مسافة ٥٠ كيلو متراً الى الغرب ثم ينحرف جنوباً على بعد ٣٥ كيلو متراً من البحر الى حدود المنطقة الفرنسوية ، وهذه المنطقة التي احتفظ بها الاسبان اليوم لاتزيد مساحتها على سدس مساحة البلاد التي منحوها فى معاهدة سنة ١٩١٢ . فان هذه المعاهدة اطلقت يد اسبانيا فى بلاد واسعة من المغرب الاقصى تمتد من حدود الجزائر الى الاوقيانوس الاتلانتيكى ويبلغ طولها نحو (٢٥٠) كيلو متراً وعرضها نحو (١٠٠) كيلو متر .

على ان الاسبان لم يبلغوا فى انسحابهم الى الخط الذي قرروا الوقوف عنده حتى قامت قبائل (عنجرة) القاطنة وراء هذا الخط فى المنطقة الاسبانية من تطوان الى حدود (طنجة) الدولية

بثورة القت الرعب في نفوس الاسبان وهددت الجيش كله بنكبة عظيمة دخلت حرب الريف على أثرها فى دورجديد من الوجهتين العسكرية والسياسية . فقد هاجت القبائل الثائرة الاسبانيين واستولت على مراكز كثيرة لهم بين سبتة وطنجة واحتلت مركز (القصر الصغير) ازاء جبل طارق ، وقطعت الطرق بين سبتة وتطوان فاصبحت الحامية الاسبانية في هذه المدينة الاخيرة محصورة تماماً من جهة البر . وصار تموينها مستحيلا بطريق البحر لان (بور مرتين) الذي هو ميناء تطوان بات تحت رحمة الريفيين. ثم احدق الثوار (بسوق ملوسة) الواقعة على مقربة من الجسر المتصل بالمنطقة الدولية ، مما اضطر الاسبان لارسال قوة بقيادة الجنرال (ساراى) الى عين الجديدة على حدود المنطقة الدولية وانشاء المخافر حول هذه الحدود لحماية منطقة طنجه الدولية من الخطر، ولكن هل تثبت اسبانيا فى مراكزها الجديده هذه ؟ وهل ابن عبدالكريم يقف مكتوف اليدين بعد انتصاره الباهر فلا يتعرض لمنطقة طنجه ؟ أم انه سوف يسير اليها ويدخلها كما دخل الترك الاستانة ، فتضطر الدول الى الاعتراف بحكومته ، والى احترام الامر الواقع فلا يكون حينئذ فى نظرها عاصياً قاطع طريق ! ؟ ذلك علمه عند علام الغيوب . . .



نصيحة لويد جورج

﴿لمن يحاربون الريف﴾

ما زال المستر لويد جورج الداهية الدهماء منذ اعتزاله رياسة الوزارة البريطانية ينشر فصولا ممتعة عن الحالة الراهنة فى العالم ، كان لها التأثير المطلوب في مجرى السياسة الدولية ، لانها تتضمن حكم سياسي عظيم لعب دوراً مهما في زمن الحرب وبعدها ، وله اطلاع على أسرار فى السياسة قلما اتيح لغيره العلم بها

وقد كان الفصل الرابع والعشرون من هذه الفصول الشيقة يدور حول المسألة المراكشية ، فاحببنا نقله لعلاقته بالموضوع الذى نحن بصدده

قال الوزير الانكليزى :

يظل الاسبان فى مراكش في شقاء وحرج فهم يمسكون وعول الريف من قرونها ولكنهم لا يستطيعون أن يروضوها ، ولا أن يطلقوا سراحها ؛ بل يرتطمون بقرونها من آن لآخر ارتطام الثائر الصاخب ، فتدمى جباههم وتذهل أحلامهم ، لان الجبال تمد الوعول الثائرة بأبدع فرص الدفاع ، وأولئك الثوار الذين يناضلون عن حرياتهم مولعون بحيل الجبال ، يستمدون منها الغوث والفرص النافعة

لماذا نرى مراكش الافرنسية تنعم بالسكينة النسبية والتقدم بينما نرى مراكش الاسبانية مصدراً مستمراً للاضطراب وسفك الدماء ؟ وسبب ذلك أن السواد الاعظم من سكان المنطقة الفرنسية يسكنون المروج الخصيبة وبذلك يهون اخضاعهم ، أما المنطقة الاسبانية فهي معترك من المفاوز والجبال

ولقد زرت منذ عامين الجزء الذى تدور فيه المعارك الآن وكانت السكينة مخيمة عليه الا جبهة مليلة حيث كان شعب الريف ثائراً يذود عن حريته ، وكان قد كبد الجيوش الاسبانية هزائم فادحة ، وغنم منها مقادير وافرة من الاسلحة والذخائر والاقوات ، وكان ذلك على أعظم جانب من الأهمية بالنسبة لشعب لم يملك حتى الآن سوى الاسلحة القديمة ، وأقواتا لا تغني من جوع

واستطاع الريفيون أن يشتروا كميات كبيرة من الاسلحة المهربة من طريق البحر ومن المنطقة الافرنسية . وان يحصلوا من اسراهم على صنوف حديثة من الاسلحة وعلى مقادير طائلة من الاموال كان يفتدي بها الاسبان اسراهم من أيدي المغاربة، فتشترى الذخائر بهذه الاموال ثانية ومن ثم يقاتل الريفيون فيهزمون عدوهم ويأسرونه، وهكذا سارت الاحوال من سيء الى أسوأ .

وقد كان على اسبانيا قبل هزائمها ان تقاتل شرذمة سيئة الاهبة من قطاع الطرق (؟!) ولكنها وجدت أمامها بعدئذ قوة بديعة النظام شد عزائمها النصر ، فاتسع الخرق عليها عندئذ واصبح من واجبها ان تستعيد المنطقة الضائعة ، ولجأ جيشها المنظم الى مليلة وما حولها من الامكنة المتصلة بالساحل والتي يسهل الدفاع عنها .

يميل المرء الى ان يعتقد بسهولة ان دقة الاسلحة الحديثة تفوق القوة المادية وان الثورة ازاءها لا تسفر عن عواقب جسيمة ولكن حوادث الخمسة والعشرين عاماً الماضية في جنوب افريقية وفى ارلندا ومراكش تدحض تلك النظرية ، فقد اضطرت انكلترا ان ترسل فى عرض البحار اربعمائة الف مقاتل وان تنفق مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات لتخضع مستعمرة صغيرة من الفلاحين فى جنوب افريقية (الترنسفال) وبعدان خاضت غمار تلك المعركة الفادحة اضطرت ان تعقد صلحاً اعترفت فيه باستقلال البوير .

فما الذي يحدث الآن فى مراكش ؟ ان لهيب الثورة يمتد ويندلع ، وبينما تظل منطقة مليلة فى سكينة مسلحة اذا بمنطقة تطوان تكاد تخرج من أيدي الاسبان .

زرت مراكش فى فاتحة عام ١٩٢٣ ، وقد كانت الطرق الموصلة الى تطوان قبل وصولي فى خطر شديد بسبب اشتداد المعارك التي كانت تدور عندئذ على مقربة منها ، وقد كبد انشاء الطريق الحربي وكذلك الخط الحديدي الممتد الى تطوان الاسبان كثيرا من الارواح ، وكان العمال يعملون بين صفوف الجند والقلاع ، ولم يجد اتفاق الحاكم مع الريسولي زعيم زعماء تلك المنطقة ، اذ يظهر انه لا صحة لما يدعيه من ثقة مواطنيه به فان نفوذه قد صار الى الاضمحلال بدليل ان منطقة تطوان تضطرم اليوم كلها بنار الثورة والحرب ، وان الحكومة الاسبانية قررت ان تنسحب من بعض المراكز التي كانت تمتنع فيها القوات الاسبانية منذ عام ، وقد أكدت لي السلطات الاسبانية عندئذ ان السفر الى الداخل حتى شيشوان مأمون العاقبة كسفر طيارة الى غرناطة ، أما اليوم فلا يمكن أن يقال ذلك لأن حرب الكمين تدور في الطرق وقد صدرت

الاوامر الى القوات الاسبانية بان ترتد في اتجاه تطوان .

يجب على الحاكم بأمره الاسباني وحكومته ان يتخذوا قراراً حاسماً في تلك المشكلة تمليه شجاعة أكثر من شجاعة السياسي: يجب ان يقرروا الانسحاب من مناطق الثوار كلها والا فالحرب ستلبث مدى أعوام ، فاذا اختارت اسبانيا الحرب واستطاعت ان تقدم ما تقتضيه من الرجال والمال فان النصر فى النهاية يبقى أمراً يحوطه الريب ، بل ان هنالك ريباً في ثبات ماتسفر عنه من النتائج

ولا يرى الانسان في تلك الجهود الباهظة التي تبذل لاخضاع القبائل الجبلية مايدعو الى ذرة من الامل ، وطالما اختارت شعوب أخرى وجدت في مثل ذلك المأزق ان تترك مثل تلك المشاريع دون ان تفقد شيئاً من هيبتها ، فمثلا كان كثير من قياصرة روما يحجمون عن محاربة العشائر الحربية التي تثور على الحدود ويفضلون التمتع بالمناطق الحصينة حتى تسنح فرصة أتم لاخضاع الثوار ، وهذا ماتفعله انكلترا بالنسبة لبعض مناطق في حدود الهند الشمالية ، فكثيراً ما تقتحم القبائل الجبلية الحدود بين الافغان والهند ، وكثيرا ماترسل الحملات القوية لاخضاعها وهذه الحملات التأديبية تكبد الحكومة نفقات طائلة فتعود بوعد منها فقط ، ذلك هو ان لا تعود الى الاغارة ، ولم تصب هيبة انكلترا من جراء ذلك بسوء .

ولقد وجدت اسبانيا في مثل ذلك المأزق من قبل ولم تصب في عزتها فقد كان فقدها لكوبا نعمة للشعب الاسباني استطاعت على أثرها أن تسير في سبيل التقدم ، فاذا قيل اليوم بأن الشرف العسكري في خطر التدهور ذكرنا القائلين بمثل كوبا ، وكلما استمر ارسال الرجال والمال في عرض البحر اشتد الضيق في اسبانيا ، وانى أشك فيما اذا كان حاكم بامره وأسرة تستطيع ان تعيش طويلا ، وأما الحل الآخر فهو ان اسبانيا تكتفى بتحصين الشاطىء والذود عنه ، وفي هذا ضمان كاف لتجارتها ولحمايتها وصون شرفها .



الفصل الرابع

فرنسا والريف

أثناء جلاء الاسبان حدثت مناوشات على الحدود بين الفرنسويين والريفيين ، كان السبب المباشر لوقوعها عدم وجود حدود طبيعة بين المنطقتين ،فان هنالك شقة واقعة الى الشمال الشرقى من فاس تسمى (وادي ورغة العليا) لم يقدم أحد على احتلالها حتى الآن ، ولكن الفرنسويين يدعون أنها جزء من البلاد المشمولة بحمايتهم ، فالى هذه الشقة أرسل الامير ابن عبد الكريم في شهر ديسمبر ١٩٢٤ قوات من رجاله واعوانه فانضم اليهم رجال القبائل الوطنية واعتصموا كلهم بمواقع منيعة وأخذ رجال الامير يتلقون تعليماتهم منه رأساً . وقد أحدث ذلك ذعراً وقلقاً في الاندية الافرنسية ، فعاد المرشال ليوتي المندوب السامى من فرنسا مسرعاً الى المغرب لاتخاذ التدابير الضرورية . وعند سفره صرح لمراسلي الصحف أنه يعود الى المغرب في وقت عصيب ليواجه حالة يقلقه مستقبلها قلقا شديدا

على ان الامير ابن عبد الكريم قد أجاب على تصريحات المندوب الأفرنسى بما يلي :

« ان هذه الشقة كانت تحت سيطرة الريف المباشرة لما اقدم الفرنسويون على احتلالها أخيراً ، وسيان عندي اذا كانت اسبانيا تعدها تابعة لها أوكان الفرنسويون يحسبونها جزءاً من البلاد المشمولة بحمايتهم ما دامت الحكومة الريفية لم تعترف قط بتقسيم المغرب الاقصى الى مناطق مشمولة بحمايات أجنبية مختلفة ، وفي الدنيا امتحان واحد لصحة الملكية وهو الاحتلال الفعلى ، وقد احتلت جنودى هذه المراكز الواقعة على الحدود وبسطت حكومتي سيطرتها على القبائل النازلة فيها »

وقد كادت هذه المشكلة تفضى الى حرب بين فرنسا والريف من ذلك الحين ، ولكن جلاء الاسبان صرف فرنسا عن الاهتمام بمسألة الحدود البسيطه فاتخذت الاحتياطات الدفاعية ، وحملها على التفكير بمصير هذا الجلاء الذي لاتقل خطورته السياسية عن خطورته العسكرية ، لانها – أى فرنسا – أصبحت تخشى نفوذ ابن عبد الكريم فى منطقتها بعد ان انتشر دعاته في طول البلاد وعرضها

وفى الواقع ان فرانسا كانت تستعد للوقوف مع ابن عبد الكريم هذا الموقف منذ زمن طويل

يدلك على هذا أنها لما أخذت الخمسة الملايين من الفرنكات من البلاد الشامية باسم نفقة جيش الاحتلال ضمت هذا المال الى ميزانية النفقات في المغرب الاقصى واعلنت أنها رصدته لتهيئة الدفاع فيما لو وقعت حرب بينها وبين الريفيين في المغرب الاقصى

ولكن الامير المحنك الذي يعرف أسرار السياسة ومغامزها عاد فصرح لمراسل جريدة (الجرنال) الافرنسية بما يزيل مخاوف فرنسا نحو منطقتها كيلا تعاكسه فى استقلال بلاده وحريتها والى القراء ملخص الحديث المذكور لانه يبين بوضوح تام برنامج الامير في سياسته المقبلة .

قال الامير للمراسل : « انني لا أقوم بحرب دينية لطرد المسيحيين من المغرب الاقصى ، وانما أحارب لانقاذ الريف من الاحتلال ، ولا أريد الاشتباك في نزاع مع الفرنسويين بل أرغب رغبة عظيمة فى الاتفاق معهم وسأبذل جهدي فى سبيل الوصول الى هذا الاتفاق . وقد رفضت كل الاقتراحات التي عرضها عليّ الزعماء المحليون بأن أتولى قيادتهم ليسيروا لمقاتلة الفرنسويين ، وكنت اطلب اليهم التزام السكينة والمسالمة .

« اننا نريد أن نترك في بلادنا الحرية التامة للمسيحيين فى شئونهم الدينية ، والاديان كلها حسنة ولنا ديننا ولكم دينكم . وهذا يكفي للتفاهم والاتفاق وتبادل الارادة الحسنة .

« ونحن مستعدون لان نترك الاجانب يدخلون بلادنا اذا استتب لنا الامر فى الريف واننا سنرحب بالفرنسويين اذا جاءوا بلادنا للتجارة ولتحسين وسائل العمل عندنا والتعاون معنا . »

ثم أشار الامير الى خط حدود ورغة المختلف عليه فقال « انه لم يحدد تحديداً صحيحاً، وانني مستعد للبحث في هذه المسألة بروح الرغبة العظيمة فى الاتفاق »

وذكر الصحافى العلاقات بين الامير ابن عبد الكريم ومولاي يوسف سلطان المغرب الاقصى فلاحظ ان ابن عبد الكريم الذي ارادت قبائل اسلامية عديدة اطلاق لقب السلطان عليه قد أبى أن يقبل ذلك اللقب وقبل لقب أمير فقط . وقد سأله الصحافي هل يأبي الاعتراف بالسلطان يوسف ، وهذا ما لا يسع فرنسا الا أن تطلبه منه ؟ فقال الامير : « لماذا لا ؟ ان الفرنسويين يستطيعون ايجاد صيغة يمكن قبولها للاتفاق فى هذا الصدد . . . »

ولكن هذه التصريحات كلها لم تكن تفيد قليلا ولا كثيرا ، لان فرنسا كان يكفي عندها لضرورة خوض غمرات الحرب أن ترى جمهورية مغربية قوية مجاورة للجزائر في الغرب ولمراكش في الشمال . فأخذ المرشال ليوتي يعدّ قواته على الحدود ، ويقيم المخافر الامامية تجاه المواقع التي سبق رجال ابن عبد الكريم الى احتلالها

وعقب عيد الفطر سنة ١٣٤٣ (أواخر ابريل ١٩٢٥) جعلت شركة هافاس البرقية وبعض صحف باريس يمهدان السبيل لافهام الرأي العام الفرنسوي ضرورة الحرب مع ابن عبد الكريم لسبقه الى احتلال أماكن لم يسبق لفرنسا ولا لاسبانيا احتلالها

ولم تخف على ابن عبد الكريم الخطة التي رسمها المرشال ليوتي بالاتفاق مع وزارة الحربية الفرنسوية فأعد للامر عدته ، واتخذ لكل شيء أهبته



الحرب

﴿ بين الريف وفرنسا ﴾

ان التاريخ لا يمكن أن يكتب في زمن وقوع حوادثه ، ولا سيما تاريخ الحوادث الحربية ، لان تدوينه يحتاج الى أمرين أساسيين: الاول استقصاء الاخبار والمستندات من جميع المصادر لا من مصدر واحد . والثاني التجرد عن الهوى في اذاعة الخبر وفي تدوينه . وحوادث الحرب بين الامير ابن عبد الكريم وفرنسا لا مصدر لها غير دواوين الاستخبارات الفرنسوية في رباط الفتح وسائر البلاد المراكشية ، وفي وزارة الحربية بباريس نفسها . ومع ذلك فاننا لا غني لنا عن ايراد الاخبار الواردة من المصادر الفرنسوية . لانها تدل على جملة الحال ولو من بعض الوجوه

وان كتابنا هذا ينتشر بين أيدي قرائه بعد مرور شهرين على الحرب بين ابن عبد الكريم وفرنسا . وقد حدث في هذين الشهرين خمس معارك كبرى كما ترى فيما يلي نقلا عن المصادر الفرنسوية :

— ١ —

﴿ من أول مايو سنة ١٩٢٥ — الى ١٢ منه ﴾

١ مايو ـ دخلت القوات المغربية المنطقة الفرنسوية شمالى ورغة

٣ منه ـ ان البقاع التى دخلها المغاربة من المنطقة الفرنسوية محرومة من وسائل الدفاع ، مساحتها عشرة كيلو مترات بين الحدود والمخافر الامامية الفرنسوية

يحاول الريفيون اثارة القبائل المجاورة للحدود على الفرنسويين

المرشال ليوتى موقن بأنه يستطيع مواجهة الحال بما لديه من القوات

٤ منه ـ ان سرعة تنظيم الجنود الفرنسوية حالت دون تقدم المغاربة. وقبل أن تتم هذه التدابير وقع هجوم اضطر الفرنسويون في خلاله الى أن يدافعوا دفاع الابطال. وفوجئت فصيلة من فصائل الهندسة وهى في ابان عملها بهجوم الريفيين عليها ، فاضطرت فى أثناء العودة الى أن تفتح طريقها بالسلاح الابيض

٥ منه ـ ان المرشال ليوتى قابض على ناصية الحال : وان الريفيين اخترقوا حدود المنطقة الفرنسوية ، وحملوا قبائل بنى زروال فى وادي ورغة الاعلى وفي القسم الشمالى من منطقة (تازة) على السير معهم ، ثم أحدقوا ببعض المراكز الفرنسوية الامامية. وكان المرشال ليوتي قد حشد هناك جنوداً من قبيل الاحتياط . فألفت هذه الجنود ثلاث كتائب ، ثم قامت بتموين المراكز الفرنسوية المحصورة وصدت الريفيين عنها

جاء المرشال ليوتي من فاس الى ميدان الحرب فتولى تنظيم الاعمال العسكرية بنفسه. والظاهر أن ابن عبد الكريم أعد لهذا الهجوم نحو عشرين الف مقاتل

قررت الحكومة الفرنسوية ارسال المدد الى المغرب الاقصى ، ومعظمه من جنود الهندسة والطيارين والهيئات الطبية

يقود المرشال ليوتي الآن ستين الفا يمكن استخدام ثلثيهم فى محاربة الريفيين

٦ منه ـ ان الكتيبة الفرنسوية التى تحارب في القلب ابعدت الريفيين عن مرتفعات (تاونات) وصدت كرات شديدة كرها الريفيون الذين تتألف قواتهم من جنود نظاميين تشد أزرهم قبائل محلية

٧ منه ـ نقلت الطيارات الفرنسوية الماء بشكل الواح جليد الى المخافر الاربعة او الخمسة المحاصرة فى جهات بيبان

ان الاخبار المنبئة بفوز الكولونيل فريدنبرغ لم تقلل شيئاً كثيراً من المخاوف المتزايدة الناشئة عن احتمال وقوع حرب كبيرة ، فان الجنرال كولومبات لما وصل الى جهات بيبان وجد نفسه أمام قوة من الريفيين محصنة تحصينا تاماً في خطوط متوالية من الخنادق تحميها نار مدفعية مسددة بغاية الدقة والاحكام ، وكانت أمثال هذه الاعمال مجهولة فى المغرب الاقصى فى الماضي

٨ منه — قالت الماتان : ان الريفيين مسلحون بعدات حربية حديثة ، منها مدافع رشاشة وخمسون مدفعاً كبيراً ، وبضع دبابات ، وست طيارات . ويظهر أن الامير ابن عبد الكريم كان يرمى بهذه الحركة الى قطع السكة الحديدية بين (تازة) و (فاس) ، ولكن حملات الفرنسويين الشديدة بقيادة الجنرال كولومبات والكولونيل فريدنبرغ والكولونيل كمباي أوقفت تقدم الريفيين . ومتى وصلت النجدات المرسلة من الجزائر سيبدأ صد الريفيين على طول الخط

يقوم كثير من دعاة الريفيين ببث دعايتهم فى جهة (تافيلات)

ترى الدوائر الفرنسويه العليا ان خطر الريف على المنطقة الفرنسوية في مراكش عظيم الى حد يحملها على مواصلة الحملة بجميع الاساليب العسكرية والسياسية والاقتصادية الى ان يفشل ابن عبد الكريم فشلا تاماً . . . ولا يمكن القيام بمثل هذه الحملة الا بتعاون عسكرى مع اسبانيا . ويقال ان المسيو بريان وزير الخارجية الفرنسوية ارسل تعليمات الى السفير الفرنسوى فى (لندن) ليحادث وزير الخارجية البريطانية رغبة فى وقوف بريطانيا موقف العطف تجاه أى اتفاق يعقد بين فرانسا واسبانيا فى مراكش ، وسيعرض سفير فرنسا على انكلترا تعضيد فرنسا للمطالب البريطانية فى (الموصل) . وبلغ الامر بوزارة الخارجية الفرنسوية أنها تفكر في أن تعرض على بريطانيا احداث تعديل في الحكومة الفرنسوية الحالية . ويعلق أصحاب المصارف اهمية عظمى على مراكش لان لهم مصالح حيوية في تلك المستعمرة الغنية .

٩ منه ـ قال المسيو بنلفه « لا تزال مخافر كثيرة محصورة تمون بواسطة الطيارات . ولا يمكن ان ننتظر عملا عظيما قبل وصول النجدات المختلفة من جميع الاسلحة التى طلبها المرشال ليوتي وبعد ما يتم الحشد الجاري الآن تضرب الضربة الفاصلة بجميع الوسائل التى تتطلبها الحالة . واننا نعمل على اتفاق تام مع الحكومتين البريطانية والاسبانية .

قالت المورنين بوست : لم يقم دليل على ان وراء القتال الناشب الآن بين المغاربة والاوربيين في الشمال الغربي من افريقية عاملا دينياً ، ولكن روح الغطرسة القومية هو الذي يحتدم فى صدر عبد الكريم ، وهو مظهر مؤسف من مظاهر مبدأ « تقرير المصير » الذي وصفه مستر لانسنغ خير وصف اذ قال « ان تقرير المصير عبارة محشوة بالديناميت » . وقد لقيت فرنسا الشر نفسه فى تونس ، ولقيت انكلترا أخطاره في وادي النيل . فاذا استطاع عبد الكريم ان يواصل العمل بنشر دعايته الخطرة ولم يوضع لها حد فاذ النار تضطرم فى افريقية الشمالية كلها فى أقرب وقت

١٠ منه ـ يسافر الجنرال نياسل ـ المفتش العام للطيران العسكري الى المغرب الاقصى ـ للقيام بمهمة اقتضاها توسيع نطاق الاعمال الحربية الجوية .

احتشدت قوات كبيرة من الريفيين ، واحتلوا مواقع كانت محصنة تماماً ، واتخذ الجنرال شامبرون جميع التدابير العسكرية والسياسية لمواجهة الحال .

ألفت فى (طولون) فصائل من المتطوعين لحرب المغرب الاقصى

١١ منه ـ بحث المسيو بنلفه مع المسيو اسولا سكرتير وزارة الحربية ومع المرشال بتان والجنرال ديبينى فى شئون عسكرية مختلفة .

ارسلت نجدات الى المغرب الاقصى

يظهر ان ابن عبد الكريم أرسل أخاه في شيشوان الى المنطقة الاسبانية لتجنيد رجال قبيلة جبالة .

١٢ منه ـ وقفت الاعمال العسكرية وقوفا وقتياً فى انتظار وصول النجدات والمعدات الكبيرة المرسلة من الجزائر وفرنسا .

أصبح من المؤكد أن سبع طيارات لدى الامير ابن عبدالكريم ليست من الغنائم التى غنمها من الاسبانيين ، بل اشتريت من انكلترا رأساً . وكثر التحدث في المقامات السياسية الفرنسوية حول ما أذاعته جريدة (ستار) الانكليزية عن محاولة رسل ابن عبد الكريم شراء معدات حربية فى انكلترا .

سافرت فصيلة سنغالية من بلاد الريف الى المغرب الاقصى

— ٢ —

﴿ من ١٣ مايو — الى ٢٠ منه ﴾

١٣ منه ـ تلقى المرشال ليوتي قسما من النجدات ، فبدأ بحركات القمع لانقاذ المخافر الامامية التي لاتزال محصورة .

بدأت قوات فرنسوية معززة بالمدافع والطيارات القتال فى الصباح لانقاذ ا كمة بيبان ، وتقدمت فى احوال ملائمة حيث تحصن الريفيون بخنادق أنشئت طبقاً للفن الحديث

١٤ منه ـ انتزعت القوات الفرنسويه المواقع المنيعة التى كان يشغلها الريفيون فى سلسلة جبال بيبان بعد مقاومة عنيفة ، وانسحب الريفيون شمالا وهم يقاتلون . ولما انتصف النهار كان الريفيون يتقهقرون وهم يقاتلون في كل مكان . وقد انقذ الفرنسويون عدة مخافر برءوس الحراب

وصل الى المغرب الاقصى الجنرال نياسل المفتش العام للطيران العسكري

١٥ منه ـ أنزلت الطيارات الفرنسوية خسائر فادحة بالريفيين باستعمالها قنابل كبيرة من طراز جديد صنعت في زمن الحرب ولم تستعمل فيها لان الهدنة عقدت في ذلك الحين

ان نجدات كبيرة مأخوذة من جميع الحاميات العسكرية في فرنسا ستسافر قريباً الى المغرب الاقصى مصحوبة بعدد من الطيارات التي تنقل الجرحى

تمكن الفرنسويون من تموين عدة مخافر

توفى الماجور مازبرج ـ الطيار المشهور ـ متأثراً بالجراح التي اصابته

تحمل جريدة (الاومانيته) حملات شديدة على الاعمال العسكرية الفرنسوية في المغرب وقد دعت الى اجتماع يعقد غداً في لونابارك بباريس للمطالبة بالجلاء عن المغرب حالا .

١٦ منه ـ أوقفت قوة الكولونيل فريدنبرغ في الوسط هجوماً جديداً شديداً أمام مراكزها .

١٧ منه — انقذت قوات الكولونيل فريد نبرغ مخفر بوطومنت بعد معركة شديدة استعمل الريفيون فيها مدفعين لكنهم لم يكونوا يحسنون الرماية

يزداد النشاط في بث الدعاية الريفية في ساحة (برانس) وساحة (مناس)

١٨ منه — ان المشاة الريفيين مسلحون ببنادق سريعة من طراز ماوزر ، وبمدافع رشاشة ،

ومعدات حربية حديثة ، وبعدد تلفون لاقامة المواصلات بينكم في ميدان القتال. وهم مدربون تدريبا حسناً ويجيدون استعمال التحصينات في ساحات القتال ، ويستخدمون الخنادق فى الدفاع بمهارة عظيمة ، ولكنكم لايحسنون استعمال المدافع الكبيرة ولا اخفاءها عن نظر العدو ؛ لذلك يضطرون الى الانقطاع عن اطلاق تلك المدافع عند ظهور الطيارات الفرنسوية صاحبة التسلط فى جو ميدان القتال لان طيارات الريفيين لم تظهر واحدة منها حتى الآن

١٩ منه — ان قوات الريفيين المحشودة في شوان يراد توجيهها للقيام بهجمتين في وقت واحد : الاولى على الاسبانيين فى (تطوان) ، والثانية على الفرنسويين فى (وزان) حيث استمال ابن عبد الكريم القبائل المجاورة

٢٠ منه — وصلت نجدات فرنسوية جديدة الى المغرب الاقصى

لايزال الريفيون يواصلون بهمة عظيمة تسليح القوات وحشدها . ويقال ان ابن عبد الكريم أعلن التعبئة العامة فى كل بلاد الريف وجباله

تمكنت قوات الجنرال كولومبات - التى كانت تزيدها المدفعية والطيارات تأييداً عظيماً - من الوصول الى بيبان وتموين المخافر بعد قتال باهر . وقد اضطرت الى صد قوات كثيرة من الريفيين وانتزاع الارض منها شبراً شبراً والاشتباك معاً بالسلاح الابيض فى خنادق مغطاة ومخفية عن الانظار والقتال في غابات وعرة محصنة تحصينا حسنا يدافع عنها رجال يستبسلون في قتالهم .

— ٣ —

﴿ من ٢١ مايو — الى ٦ يونيو ﴾

٢١ مايو - أعلن رئيس اركان حرب المرشال ليوتي وصول نجدات كافية تمكن الفرنسويين الآن من اتخاذ خطة الهجوم.

يؤكدون ان الريفيين يحشدون فى الساحة الغربية قوات كبيرة أمام الخطوط الفرنسوية .

٢٢ منه - استؤنفت الاعمال العسكرية الفرنسوية بشدة ، فان قوات كبيرة محشودة فى جهة عين عائشة بقيادة الجنرال دى شامبرون شرعت فى عمل قوي لصد كتائب الريفيين التي عادت فدخلت الحدود وأحدقت مرة أخري بالمخافر الفرنسوية الامامية .

قرر مجلس الوزراء الفرنسوي أن يطلب الى مجلسي النواب والشيوخ اعتمادات اضافية لاجل الاعمال الحربية فى المغرب الاقصى .

قام الجنرال شامبرون بحركة حربية تمكن فيها من انقاذ مركز الورغة الاعلى بالرغم من الهجمات العنيفة التي هجمها الريفيون بقوات كبيرة أتوا بها على جناح السرعة ، وبالرغم من المقاومة الشديدة التي أبدتها قوات أخرى فى مراكز محصنة تحصيناً تاماً . وقد اشتركت المدافع والطيارات فى تسهيل تقدم الفرنسويين ، فخرجت الطيارات ثلاثين مرة وقذفت خمسمائة قنبلة .

٢٣ منه ـ وردت الانباء بقيام الريفيين بحركات عظيمة فى الشمال وان ابن عبدالكريم يعيد الآن حشد قواته .

٢٤ منه ـ عين الجنرال دوجان قائداً عاماً في ميدان الريف من حدود الجزائر الى الاطلانطيك ومعه الجنرال بيليوت والجنرال شامبرون مساعدين له .

لايزال الريفيون يحشدون قواتهم في منطقة كيفان وجهات مولاى على وأعالى دما كوم .

٢٥ منه ـ انسحب الفرنسويون من ستة مخافر واقعة في جهات تاونات ومولاي علي لصعوبة تموينها ولانها كانت عرضة للحصار اليومي . وقد تم الجلاء عنها لتكون الفصائل المكلفة تموينها اكثر حرية في عملها .

تلقت قوات الكولونيل كولومبات النجدات في كيفان .

هاجمت قبائل جبالة الاسبانيين في جهات (تاهاتوف) .

يلاحظ بعض الصحف الفرنسوية أن ابن عبد الكريم يميل الآن الى تحويل مجهوداته الى جهة (الجزائر) .

٢٦ منه ـ لايزال الريفيون يبدون نشاطاً عظيما . وقد وصل ٣٠٠ فارس من قواتهم الى (سقا) والمخافر الفرنسوية معرضة دائما لرصاص الريفيين الذين يواصلون التشديد على القرى الشرقية والغربية من مخافر الفرنسويين .

٢٨ منه ـ رفض رئيس الوزارة الفرنسوية أن يصرح لمجلس النواب بعدد الجنود الذين أرسلوا الى المغرب الاقصى . وقال ان خسارة الفرنسويين ٤٠٠ قتيل و٣٠ مفقوداً و١١٠٠ جريح .

٢٩ منه ـ طلبت الحكومة الفرنسوية من مجلس النواب اعتماداً بمبلغ ٣٢ مليون فرنك يكون أول دفعة لحساب الحرب في المغرب الاقصى .

٣٠ منه ـ أعلن مسيو ملفى في مجلس النواب أن فرنسا واسبانيا ترغبان في عقد السلم. وان ابن عبد الكريم لم يعرض على فرنسا شيئاً ما بهذا الشأن ولم يرد على الاقتراحات التي قدمتها له الحكومة الاسبانية .

استكشف في الدار البيضاء مركز للدعاية الشيوعية . وقبض على ثلاثة أشخاص وصودرت مقادير من النشرات العربية لتحريض الوطنيين على الثورة .

٣١ منه ـ ويظهر ان بعض الريفيين ذهبوا الى همبورغ لشراء السلاح .

٥ يونيه ـ قامت الجنود الاسبانية بمعارك شديدة . أوقفت حركة قوات ريفية عديدة كانت على أهبة القيام بحركة التفاف على الفرنسويين في اتجاه (وزان) .

تؤكد الصحف الفرنسوية أن قوات ابن عبد الكريم النظامية تبلغ ٢٥ ألفا تضاف اليها القوات المحشودة من رجال القبائل وتبلغ ٥٠ ألفاً .

— ٤ —

﴿ من ٦ يونيو — الى ٢٦ منه ﴾

٦ منه ـ جلا الفرنسويون عن مخفري (سكير) و (استير) بعد ما نسفوا الاستحكامات والذخيرة وقد هاجم الريفيون فصيلة فرنسوية موكلة بصيانة الامن في الجناح الايسر . ودارت معارك حامية بعد الظهر في الجناح الآخر .

٨منه ـ انسحبت الجنود الفرنسوية من مواقع مختلفة في جهات طاونات، بعد تدمير عدد من المراكز التي كانت نقطاً للاتصال بين الفرنسويين والقبائل المحلية المنضمة الى الريفيين .

وردت الانباء بتجمهر الريفيين شمالى بني دركوب ، وجبال مازيان ، ومعهم المدافع والرشاشات .

٩ منه ـ لاتزال غارات الريفيين على مركز لوكوس متواصلة . وقد تقهقرت المخافر الفرنسوية الامامية فى بعض المواضع بنظام حسن ، وبذل الريفيون جهوداً لاختراق الخطوط الفرنسوية على ضفة الورغة الجنوبية فلم يتم لهم ذلك .

سافر المسيو بنلفه (رئيس الوزارة) فى الساعة الخامسة مساء الى طولون ومعه المسيولوران ايناك والجنرال جاكيمو ، ثم يركبون منها طيارة في الساعة السادسة صباحاً الى المغرب الاقصى

لمحادثة المرشال ليوتي شخصياً عن الحالة الحربية ويزورون ساحة القتال

١٠ منه — اخترق الريفيون خط الدفاع الفرنسوى فى أماكن عديدة من وادى فاس ، فقررت القيادة الفرنسوية نقل الاهالى غير المحاربين من وزان جنوباً على سبيل الاحتياط

وصل المسيو بنلفه والمسيولوران ايتاك الى رباط الفتح بطيارة وتحادثا ملياً مع المرشال ليوتى

١١ منه ـ حظي المسيو بنلفه بمقابلة سلطان المغرب الاقصى .

ازداد تشدد الريفيين قليلا حول المراكز الاسبانية في الساحتين الغربية والشرقية .

ستؤيد بريطانيا العظمى التدابير التي تنويها فرنساواسبانيا لحصر سواحل الريف عملا بمعاهدة الجزيرة

١٢منه ـ ظل المسيو بنلفه والمارشال ليوتي مجتمعين الى ساعة متأخرة من الليل ودرسا الحالة

١٣منه ـ ذهب المسيو بنليفه صباحا لزيارة القوات المرابطة في مازة وجوارها مصحوبا بالمارشال ليوتي والجنرال جاكو والجنرال دوجان . وزار ميدان القتال في الورغة والمخافر الامامية وبحث مطولا مع القواد

عقد الخبراء البحريون الفرنسويون والاسبانيون نهارأمس اجتماعهم الاول

١٤منه ـ ركب المسيو بنلفه طيارة فى الساعة الخامسة عائداً الى فرنسا وقبل سفره أعلن أن فى النية ارسال دبابات وتعزيز سلاح الجو . واعترف بان الريفيين متصفون بالصفات الحربية ، وأن جنودهم والجبليين على استعداد لكل نوع من القتال ، ولكن ليس لديهم سوى عدد قليل من المدافع الرشاشات

١٦منه ـ بدأت نسافتان فرنسويتان تتجولان من اليوم في مياه سواحل المغرب مع السفن الحربية الاسبانية

احبطت الجيوش الفرنسوية في منطقة وزان سلسلة اعمال قام بها الريفيون في الايام الاخيرة

يواصل الريفيون شرقي وزان القيام بحركات نصيبها الحبوط وجددوا هجومهم في القلب على طاونات . على أن القوات الفرنسوية هى صاحبة الكفة الراجحة على مايظهر

١٧ منه ـ هاجم الثوار فى اثناء الليل عدداً من المخافر الاسبانية المختلفة في ضواحي ريفال .

قال الامير محمد بن عبد الكريم لمراسل التيمس انه مستعد لان يصدع بالنصائح الموجهة اليه بشان عقد الصلح مع فرنسا ، بشرط أن تقدم له قاعدة معقولة للمفاوضة . قال « ونحن نريد الاحتفاظ باستقلالنا . ولا نحجم فى سبيل الوصول الى ذلك عن تضحية كل ماهو عزيز لدينا »

١٨منه ـ هجم الريفيون هجوماً شديد على مواقع الفرنسويين الامامية في جهات (تروال) و (عويشه) الواقعة على بعد ستة كيلو مترات الى الشمال ولكن حملاته كلها صدت .

٢٢ـ منه وقع المندوبون الفرنسويون والاسبانيون اتفاقاً يقضي بأن تتعاون بوارج الامتين على مراقبة شواطيء المغرب الاقصى البحرية . وستحتفظ كل قيادة باستقلالها ، وتكون المراقبة موجهة الى منع اشتراء الاسلحة والمعدات الحربية .

٢٣ منه ـ يقدر مراسل الطان في فاس القوات التي يستطيع الامير ابن عبد الكريم أن يعول عليها في القتال فى الجبهة الفرنسوية بمائة واثنين وثلاثين الف رجل من رجال القتال عدا ستة آلاف من النظاميين

٢٤ منه ـ قامت كتيبتان اسبانيتان في قسم (سبته) و (تطوان) بمناورة هجومية نحو (زادينة) لمنع احتشاد الريفيين .

٢٥ منه ـ أذيع منشور بتوقيع مولاى يوسف سلطان مراكش ضد الامير ابن عبد الكريم وصدر الامر بتلاوته في المساجد . وسافر السلطان صباح اليوم لزيارة قبيلة شراغه واستبدال الزعماء الذين لم يظهروا سلطة كافية لتوقيف مساعى رسل ابن عبد الكريم الذي تنتشر دعايته بنشاط بين قبائل ستول وبرانس .

يظهر أن خطة الزعماء الريفيين ترمي الى الزحف نحو الشرق لبلوغ الجهات الواقعة أمام (فاس) بطريق (وادي اللبن) . وقد بلغ الفرسان الريفيون في غزواتهم طريق تازة وفاس .

غادرت البعثة النيابية الفرنسوية مدينة فاس أمس . ولما قابل أعضاؤها مولاي يوسف مستأذنين فى السفر قال لهم « تذكروا مافعل أبناؤنا لاجل فرنسا في زمن الحرب العظمى . وقدموا لنا الوسائل التي تمكننا من الدفاع ! . . . »

— ٥ —

﴿ من ٢٦ يونيو — الى ٧ يوليو ﴾

٢٦ منه ـ قام الامير ابن عبد الكريم بهجوم عام لقطع المواصلات بين (فاس) و (تازة)

٢٧ منه ـ صد الفرنسويون حملة حملها عليهم خمسة آلاف رجل من رجال القبائل المحلية المنقلبة علي الفرنسويين ، تساعدها بعض الفصائل الريفية . وكان معظم القوات الريفية مرابطاً

في مكان معين على تمام الاهبة والاستعداد للاشتراك في المعركة اذا نجح هجوم رجال القبائل .

جاء في بلاغ أن الريفيين الذين اشتد ساعدهم بنجدات عظيمة ضاعفوا ضغطهم على النهر الكبير ، ولكن الجنود الفرنسوية ثبتت بمساعدة الطيارات تجاه هذا الهجوم .

٢٨ منه ـ لم تذكر أنباء فاس خبر هجوم ريفي عام ، بل تقول ان الفرنسويين احبطوا هجوماً شديداً هجمه الثوار في منطقة (تازة) والحقوا بهم خسارة عظيمة . والذين حاولوا اختراق منطقة الفرنسويين من جنود الريف ارجعوا القهقرى . وألقت الطيارات الفرنسوية القنابل على مواقع الثوار .

٢٩ منه ـ اشترك رجال القبائل الباقية على ولائها لسلطان المغرب في صد الهجوم الذي قام به الريفيون على خط تازة وفاس وكانت تساعد القبائل الموالية السيارات المسلحة والطيارات الفرنسوية وكانت زيارة سلطان المغرب لخط القتال باعثاً على اثارة الهمم في نفوس فصائل الوطنيين الذين يقاتلون دفاعا عن قراهم .

٣٠ منه ـ صددنا الريفيين وهم يحاولون التقدم في جنوب الوادي الكبير بشرق . ولا تزال المعركة ناشبة .

يقدر مكاتب (الماتان) من فاس خسارة الريفيين بألف قتيل وثلاثة آلاف جريح في الهجوم الاخير الذي توخوا منه الضربة الفاصلة بلا جدال من دون أن يقدروا عظم الخطر الذي يستهدفون له من جراء مثل هذا العمل .

عادت لجنة التحقيق النيابيه من المغرب الاقصى الي مرسيليا . وصرح رئيسها بأن الحالة كانت حرجة ، وما زالت خطرة . ومن الضروري القيام بهجوم عاجل لانقاذ سمعة فرانسا ونفوذها بين القبائل . وسيكون من المستحيل القيام بحركات عسكرية بعد الامطار التي تقع في اكتوبر .

سافر المسيو مالفي الى مجريط ، بعد ان تداول مع المسيو بنلفه والمسيو بريان أمس مساء

أول يوليو ـ جاء في بلاغ أن الريفيين يعززون هجومهم على الفرنسويين في دائرة واسعة النطاق في القلب والشرق . وقد اجتاحوا الخطوط الفرنسوية في أماكن كثيرة . ونشطت الطيارات الفرنسوية نشاطاً عظيما وقذفت القنابل علي المنطقة التي يقود الجنود فيها شقيق ابن عبد الكريم في بوادان

٢ منه ـ جاء في بلاغ أن نار المدفعية والمشاة صدت ثلاث حملات متوالية حملها الريفيون

على معسكر القوات النقالة (في وادي اللبن) الاعلى . وحمل الريفيون حملات شديدة في الشرق في جهات وادى (أمسون) فصدها الفرنسويون واحتفظوا بمواقعهم

لايزال ضغط الريفيين شديداً على طول خط القتال وينتظر أن يقع هجوم عظيم في أقرب آن

أعلن رئيس الوزارة الفرنسية وفي مجلس الشيوخ أنه وقع تحرش حقيقي بفرنسا واننا لانحجم عن شيء لصد المعتدي وتوطيد السلم اللائق بفرنسا . وسنعقد الصلح حينما يمكن ذلك ولكن دون أن تمس حقوقنا بسوء . وختم كلامه قائلا « تريد فرنسا أن تساعد على المصالحة والوئام بين الشعوب الاوربية لكي تتمكن أوربا من الثبات أمام الحملة التي قد توجه اليها . . . »

وتلاه المسيو برياز فدحض التهم القائلة بأن فرنسا تريد أن تعتدي على استقلال الريفيين وتمنع المؤن على أنواعها عنهم ، وأشار الى أن فرنسا كانت على صلات حسنة بهم على الدوام ، وستحاول افهامهم أن خطتها هذه لم تتغير معهم . وأن فرنسا مستعدة لقبول كل اقتراح يرمي الى السلم

٤ منه - هجم الريفيون يومي ٢ و ٣ يوليو غربي كيفان ووجهتهم بنو قاسم ، ولكنهم صدوا بعد معركة شديدة

قدم النواب الذين عادوا من المغرب الاقصى تقريرهم الى لجنة الجيش ، وقد اظهروا فيه ضرورة القيام بعمل سريع حاسم ، وابقاء المارشال ليوتي في منصبه فان مكانته العظيمة تمكنه من القيام بعمل سياسى كبير التأثير لدى أهل المغرب ، ولكن يجب أن يعين قائد عسكري يتولى ادارة الاعمال الحربية . واقترح هؤلاء النواب تعيين الجنرال ويغند لهذا الغرض . وشاع أن المارشال ليوتي يصل الى باريس قريباً لمباحثة رئيس الوزارة

فى ٦ منه — يقول مراسل (الديلى ميل) في باريس : تنظر دوائر باريس الى الحالة فى مراكش بعين القلق الشديد . فقد كان الفرنسويون يستخدمون حتى الآن قوات كبيرة من المغاربة المسلحين لحراسة خطوط المواصلات وللمحافظة على بقاء خط القتال متصلا من الغرب الى الشرق وقد انضمت هذه القوات الى صفوف الامير ابن عبد الكريم . وانتشرت روح التمرد بين الجنود المغاربة في (فشتاله) و (غياثة) و (تسول) وغيرها ، وانضم جانب من هذه الجنود فعلا الى ابن عبد الكريم ، وينتظر الباقون فرصة مناسبة ، وصار من المحقق الآن أن مستقبل النفوذ الفرنسوى والاوروبي بشمال افريقية في خطر ، وان مصير فاس وسائر البلاد معلق في كفة

ميزان القضاء . وتعترف الدوائر الفرنسوية علنا بأن ناصية الحال فى قبضة الامير ابن عبد الكريم لا في يد القوات الفرنسوية .

قال رئيس الوزارة الفرنسوية : ان امتداد خط القتال على طول ثلاثمائة كيلو متر يجعل من الصعب المحافظة على بعض المخافر المتفرقة لحماية القبائل وذلك لأن حالة المواصلات لا تسمح بحشد النجدات سريعاً في الاماكن المهددة كما كان يجري في الحرب العظمى. ثم ان الخطة العسكرية لحشد القوات تهيئة للقيام بعمل حاسم قضت بأن نترك وقتياً القبائل التي يدفعها الريفيون الى الانشقاق بوسائل الضغط والارهاب . وليس من المدهش أن تأتي الانباء بوصول الريفيين الى جهات وبانسحاب الجنود الفرنسوية انسحاباً جزئياً قضى به جمع القوات . ولكن رغم ذلك التقدم وما يترتب عليه انفصال القبائل يجب ان يعلم الجميع ان مدينة (فاس) في مأمن لا تخشى خطراً من رجال ابن عبد الكريم

صرح المسيو مالفي لمندوب (الجورنال) في مجريط بأن الاتفاق بين فرنسا واسبانيا أصبح امراً تاماً ، وانه سواء في المفاوضة فى الصلح أو فى مواصلة الحرب ستعمل الدولتان بالاتفاق على مقاومة الخطر مع احتفاظهما بالاستقلال في تنفيذ العمل .

تلقت الوزارة الفرنسوية أمس نص الاتفاق الفرنسوي الاسباني المشتمل على شروط الصلح والمراد عرض الصلح علناً لا عرض اقتراحات شبه رسمية بواسطة وسيط لاجل مفاوضات سرية . ويقال انهم سيضمنون لابن عبد الكريم وأهل الريف حريتهم التامة في الشئون الزراعية والاقتصادية والادارية ، تحت سيادة سلطان المغرب الاقصى الاسمية ، وفى دائرة الحدود التى تعين للريف . ويحتمل ان تكون هذه الحدود من جهة الفرنسويين تابعة لمجرى نهر ورغة . وقد يطلب من الامير ابن عبد الكريم التسليم فى بعض المطالب العسكرية الخاصة بالسلاح ولكن لا يطلب منه تسليم كل معداته الحربية وخصوصاً ألف بندقية السريعة الطلقات الموجودة لديه الآن . وهذه الشروط مع اعتدالها (!) لا تطابق مطالب عبد الكريم التي جاء بها منذ حين قريب رسول اسباني بعد ما باحث زعيم الريف .

عين الجنرال نولان ـ قائد الفيلق الثلاثين ـ قائداً عاماً في المغرب الاقصى . وقد أمضى معظم حياته العسكرية في أفريقية الشمالية وسورية . وقد عرض هذا المنصب أولا على الجنرال كيوما فرفضه

فشل الريفيون في حملاتهم الشديدة على مجموع مراكز القوة السيارة في أعالي نهر اللبن واصيبوا بخسارة عظيمة بعد معركة شديدة

صددنا الريفيين في يوم ٥ الى ٦ يوليو بعـد معركة شديدة . وكانوا يهاجمون قواتنا السيارة في باب (تازة) . وصددنا حملاتهم في ليل ٥ يوليو على جميع المراكز الفرنسوية بجوار عين معتوف في أعالي نهر اللبن

غادر النساء والاطفال (تازة) على سبيل الاحتياط ! بالنظر الى تسلل الريفيين الاخير

صدر بلاغ من وزارة الحربية الفرنسوية أشار الى « أنباء السوء التي تنشر عن الحوادث الحربية الأخيرة التي وقعت في جهة (تازة) في شرق المغرب الاقصى » وقال « ان بعض القبائل الموالية لنا تخلى عناقتهم منها ، ففتحت بذلك ثغرة في خطنا الامامي دخل منها الريفيون ، وهاجموا جنودنا النظاميين الذين أخذوا الآن في الاستيلاء على خير المواقع لطردهم فيجب على الرأي العام والحالة هذه أن لا يجزع لحوادث لا بد منها في حرب استعمارية »

وأشار البـلاغ الى الصعاب التي يعانيها الفرنسويون بسبب تحسن حالة جيش الريف من حيث العدد والعدد والمهارة العسكرية اذا قيست بحالته منذ عشر سنوات « فقد أصبحت هجماته أكثر عدداً وأحسن تنسيقاً وفي ساحة أوسع نطاقاً . وهو يحفر المغاور ويبني الخنادق ويقيم الاسلاك الشائكة ، فاذا كان من خطط الجيوش الحديثة المفاجأة بضربة حاسمة فان الافراط في التوسل بهذه الخطة ينشأ عنه استياء القبائل الموالية ، وتتسلل الى خطوطنا قوات العدو . فعلينا اذن أن لا ندهش ولا نجزع اذا صادفنا صعوبات في ميدان مترامي الاطراف ، وأدت بنا الى التقهقر في بعض المواضع لاجل اعادة تأليف قواتنا وحشدها ، فان هذا التقهقر يمهد الطرق لـكرات أشد وأقوى »

جاء في برقيـة من طنجة أن قوات البوليس الدولي طلبت امداداً قوامها سبعة آلاف مقاتل مخافة الاغارة على المنطقة الدولية

في ٧ منه ـ جاء في بلاغ اسباني أنه في أثناء حركات البوليس وامداد بعض النقط في خط الاسبانيين تكبد الريفيون خسائر فادحة وتركوا عشرة قتلى في ساحة القتال وبلغ مجموع القتلى والجرحى من الاسبانيين ٤ من الاوربيين و ٣١ من الاهالي .

روت بعض الصحف أن تركيا تعاون عبد الكريم ، فطلبت الحكومة التركية الى سـفيرها في باريس أن ينفي ذلك . وقد أبلغ فتحي بك وزارة الخارجية الفرنسـية ان تركيا ـ الحريصة على الصداقة القديمة بينها وبين فرنسا ـ لا تتدخل فيما يجري في خارج حدودها الوطنية

الفصل الخامس

بطولة الريفيين ومرامي حركتهم

﴿وصف منزل الامير ابن عبد الكريم﴾

- بقلم مراسل (شيكاغو تريبون) الامريكية -

قابلني ابن عبد الكريم لاول مرة فى يوم ٩ يونيو (١٩٢٥) فى بناية من بنايات مركز القيادة العامة فى (اجدير) وهو يدير منه حركة القتال فى ثلاثة ميادين مختلفة . وكانت تلك البناية مؤلفة من دورين (طابقين) ومساحتها لا تتجاوز ثلاثين قدماً مربعة وعلوها لا يتجاوز خمس عشرة قدماً ، وقد حفرت حولها الخنادق وأقيمت فوقها الاستحكامات ليلجأ اليها عبد الكريم ورجال حاشيته اذا شنت طيارات العدو الغارة على المدينة. ولا يزيد اتساع الغرفة التي استقبلني فيها الزعيم عن عشر أقدام أما طولها فيمتد على طول البناية كلها . وقد استعيض فيها من النوافذ بثلاثة ثقوب صغيرة ، وعلقت على أحد جدرانها خمس بندقيات اسبانية ومسدس كالذي يحمله الضباط وتلفون غنمه الريفيون من الاسبان ، وهو متصل بجميع خطوط القتال ويقضي عبد الكريم أمامه ثماني عشرة ساعة يومياً فى اصدار الاوامر والتعليمات الى ضباطه وجنوده . وأول ما استوقف نظري عند وصولي الى مركز قيادته بساطة المكان وخلوه من مظاهر الابهة والعظمة ولم يكن على الباب الخارجى سوى حارسين أما في الداخل فلم أر حرساً على الاطلاق كما أنه ليس في مظهر عبد الكريم ما يميزه عن سائر مواطنيه حتى البسطاء منهم . وهو يرتدى برنساً بنى اللون وطربوشا أبيض وينتعل خفين كاللذين يلبسهما أهل المغرب الاقصى ومع ذلك يسهل على الاجنبى تمييزه عن رجال حاشيته .ووجهه ممتلىء بيضوي وفيه من الملامح العربية ما يكفى لتعزيز ادعاء صاحبه وهو أنه من سلالة النبى (صلى الله عليه وسلم) وله عينان واسعتان غير أنهما متقاربتان وقد أطلق لحيته وشاربيه فزينا بسوادهما بياض وجهه وأسنانه. فلما دخلت عليه حياني تحية مرحب وصافحني على الطريقة الاوربية ودعانى الى الجلوس على وسادات وضعت على الارض في الطرف الآخر من الغرفة مقابل مكتبه . فنزعت حذائي وجلست أما هو فقام الى التلفون وخاطب أحد قواده ثم عاد الى

محادثتي وتربع الى جانبي. وقد لاحظت أن في رجله اليسرى عرجاً خفيفاً فلما خرجت من حضرته أخبرني بعض رجاله انه أصيب بكسر فى رجله هـذه وهو يقفز محاولا الفرار من قلعة فى مليلة سجنه فيها الاسبان سنة ١٩١٩

﴿ كيف يحارب الريفيون ؟ ﴾

ـ بقلم مراسل (التيمس) في رباط الفتح ـ

لقد أخلى الفرنسويون ثلاثين حصناً من سلسلة الآكام المرابطة فيها جيوشهم . والريفيون تحصنوا فى خنادق احتفروها على طراز فني دقيق وابدعوا فى تحصينها . ومنحدرات تلك الآكام صخرية مغطاة بغابات كثيفة وحراج اثيثة . فالمهارة التي حصنت بها خنادق الريفيين في مثل تلك المنحدرات وضيقها كل ذلك مما يجعل تدميرها بالمدافع امراً عسيراً . وهكذا فقد عجزت حتى المدافع الكبيرة من عيار ١٥٥ مليمتراً عن اجلاء الريفيين المشهود لهم بالبسالة عن تلك الخنادق . ومما يستحق الذكر ان قنابل الافرنسيين التي تصيب المرمى تقتل كثيراً من الريفيين ولكن الذين ينجون من القنابل يتابعون هجومهم بشجاعة غير هيابين نار الاعداء حتى يتمكنوا من تناول الجنود الافرنسية بنيرانهم عن مرمى قريب . وفى كثير من الحالات كان رجال القبائل يثبتون في خنادقهم بالرغم من اعمال المدفعيات الهائلة وهم متابعون اطلاق النار بكل طمأنينة وفقاً للاوامر الصادرة لهم .

وقد ظن في باديء الامر ان استبسال الريفيين الى حد التهور ناتج عن قلة اختبارهم وعرسهم باساليب القتال الفنية وانهم لايلبثون ان يتناقص عديدهم تدريجاً . ولكن الحقيقة جاءت مخالفة لهذا الظن لان الريفيين ما انفكوا يظهرون استخفافهم بالموت وشجاعتهم الفائقة . وليس ثمة أقل دليل على ظهور التراخي فى صفوفهم ، كما ان رباطة جأشهم حيال كل اسلوب من أساليب القتال الحديثة ظلت هي هي ولم تتبدل .

ومن المستحيل ان يتمكن احد من تقدير عدد المقاتلين فى الجيوش الريفية بالنظر لسرعة حركاتهم وكثرة تنقلهم وكل تقدير من هذا القبيل هو تقريبي . اما غذاؤهم فمقتصر على رغيفين بدون ادام فى اليوم لكل واحد منهم وعلى هذين الرغيفين يزحفون ويحفرون الخنادق ويحاربون

وهنالك العصابات العديدة دأبها الاغارة على صفوف الافرنسيين وارهاب سكان القرى . وبالنظر لسرعة هجومها وحركاتها فمن المتعذر مطاردتها ولكن الاهالي ـ بمساعدة الجنود غير النظامية ـ يبذلون قصاراهم لاجتناب اخطار تلك العصابات جهد الطاقة .

ذلك فضلا عن ان عبد الكريم لايفتأ ينشر دعايته وراء الحدود فيوزع النشرات والرسائل وا كثرها تقع بايدي الافرنسيين اما عن طريق القبائل المخلصة او عن طريق آخر وفي معظم تلك الرسائل يؤكد بانه عازم على دخول فاس قريباً ويسمى اسماء المواقع التي أخلاها الافرنسيون مدعياً انه اسر عدداً كبيراً منهم الى غير ذلك من أساليب الدعاية والترويج . والحقيقة انه حاول مراراً ان يخترق قلب الافرنسيين ليزحف على فاس ولكنه فى كل مرة كان يخفق

ومما لاينكر ان الحالة فى فاس هادئة لم تضطرب ، ولكن سكانها متعجبون من بطء حركات الجيوش الافرنسية وسرعة حركات الريفيين غير عالمين ان المدفعيات الكبيرة وسائر معدات القتال التي يحارب بها الافرنسيون تحول دون السرعة فى حركاتهم بعكس الريفيين الذين يحاربون برغيفين في النهار وعدة قراطيس للبندقيات ولايحملون سواها .

اما ذخائر الريفيين فوفيرة ومعظمها مما كسبوه من معاركهم مع الاسبانيين ومواسمهم فى هذه السنة كافية لتموينهم ولا ينكر ان هنالك عددا من الضباط الالمانيين يحاربون في صفوفهم ولكن الفضل في ثباتهم عائد الى شجاعتهم وعلى نوع خاص الى المقدرة التي امتاز بها ابن عبد الكريم في الادارة وتنظيم الصفوف بحيث يعجز اى اوربي كان عن ادارة تلك البلاد بمقدرة ابن عبد الكريم مالم يكن قد قضى عمراً طويلا فى الريف

﴿ ابن عبد الكريم يتكلم ﴾

— تصريحاته لمراسل (شيكاغو تريبون) الامريكية —

« لقد حاربت اسبانيا اولا لاننا لانعترف بمعاهدة (الجزيرة) التى قسمت الريف الى مناطق شتى شملتها بحمايات اجنبية فقضت على استقلالنا الذي اعترفت به الدول العظمي حتى ذلك الحين . وانتم ترون بنفسكم ثمرة جهادنا وأقل مايقال عنه ان جانباً كبيراً من بلاد الريف اصبح مستقلا .

« لقد ظلت علاقاتي مع الفرنسويين على صفاء ووداد الى امد قصير ، غير انهم مافتئوا فى السنتين الاخيرتين يناوؤن مندوبيّ ويقبضون على رسلي ، ويضربونهم ، ويصادرون البضاعة المرسلة اليّ في أثناء اجتيازها حدود منطقتينا. وقد اعربت لهم غيرمرة ـ منذ شرعنا في حركتنا الاستقلالية ـ عن رغبتي فى تسوية مسألة الحدود التي تفصل منطقتهم عن منطقتنا فلم يلبوا دعوتي حتى كانت سنة ١٩٢٣ فطلب الي المرشال ليوتي أن أرسل اليه مندوباً عني الى رباط الفتح ففعلت

ولكنهم تجاهلوا وجوده ، وأخبرني الجنرال شمبران يومئذ انهم عزموا على التوغل في منطقة نهر «الورغة». وفعلا طلبوا من جنودي الذين كانوا يشترون ويبيعون في تلك الجهة أن يجلوا عنها . ولما كنت منهمكا في ذلك الحين بمحاربة الاسبان أذعنت للامر مكرها ثم عاد الفرنسويون فطلبوا في شهر ابريل الماضى استرداد جنودي المرابطين في منطقة بني زروال مع أن هذه المنطقة ريفية من اقدم العصور الى الآن . وهب انه كان فى نيتى أن أجيب الفرنسويين الى طلبهم فانهم لم يتركوا لى الوقت الكافي للتفكير بل أوعزوا الى طياراتهم بالقاء القنابل على رجالي فاضطررت الى خوض غمار الحرب لادافع عن حقوق الريفيين

«فيتبين لكم مما تقدم أن خطتى دفاعية لا هجومية كما يزعم أعدائي ، ونحن نطالب أن يحترم الفرنسويون الريفيين في منطقتهم كما أننا مستعدون لان نحترم حقوق الفرنسويين في منطقتنا . وقد كان اطلاق القنابل في مقدمة العوامل التى حملتنى على التدابير العسكرية اللازمة للدفاع عن سلامة بلادي . . »

﴿ في سبيل الحياة ﴾

ـ من رسالة ابن عبد الكريم الى جمعية الطلبة في بونس آيرس (١) ـ

لا يوجد فى هذه الدنيا حق للامم أقدس وأرسخ من حقها فى أن تحكم نفسها بنفسها

ان سكان المغرب الاقصى قد هبوا اليوم للحرب في سبيل استخلاص استقلالهم الذى جعلته أوربا ألعوبة فى يدها . وان الحرب العظمى قد خولت بعض دول أوربا الطامعة الجشعة أن تمتلك الاراضي التى تريدها . ولقد كفى الشعوب العربية ما عانته من الخنوع لنير الانكليز والفرنسويين والطليان . وها ان اخواننا المصريين خطوا الخطوة الاولى ، ولتعلم الدنيا أننا لن نكون وراء مصر فى الحرص على استقلالنا .

لقد دنت الساعة التي تقول فيها الجزائر وتونس وطرابلس الغرب كلمتهن ، وسيجتمع أولادهن تحت أشعة الشمس المقدسة التي انفجرت أنوارها بيدي ، وسيبرق النور فى مراكش المستقلة وفي مصر المستقلة ، تحت تلك الشمس . وحينئذ فان الشعوب العربية ـ التي خدمت الحضارة خدمة عظمى ـ تعيش حرة مستقلة .

(١) نشرتها الصحف الالمانية ، ونقلها مراسل جريدة (اقدام) التركية في برلين الى جريدته برسالة تاريخها ٢٠ يونيه سنة ١٩٢٥

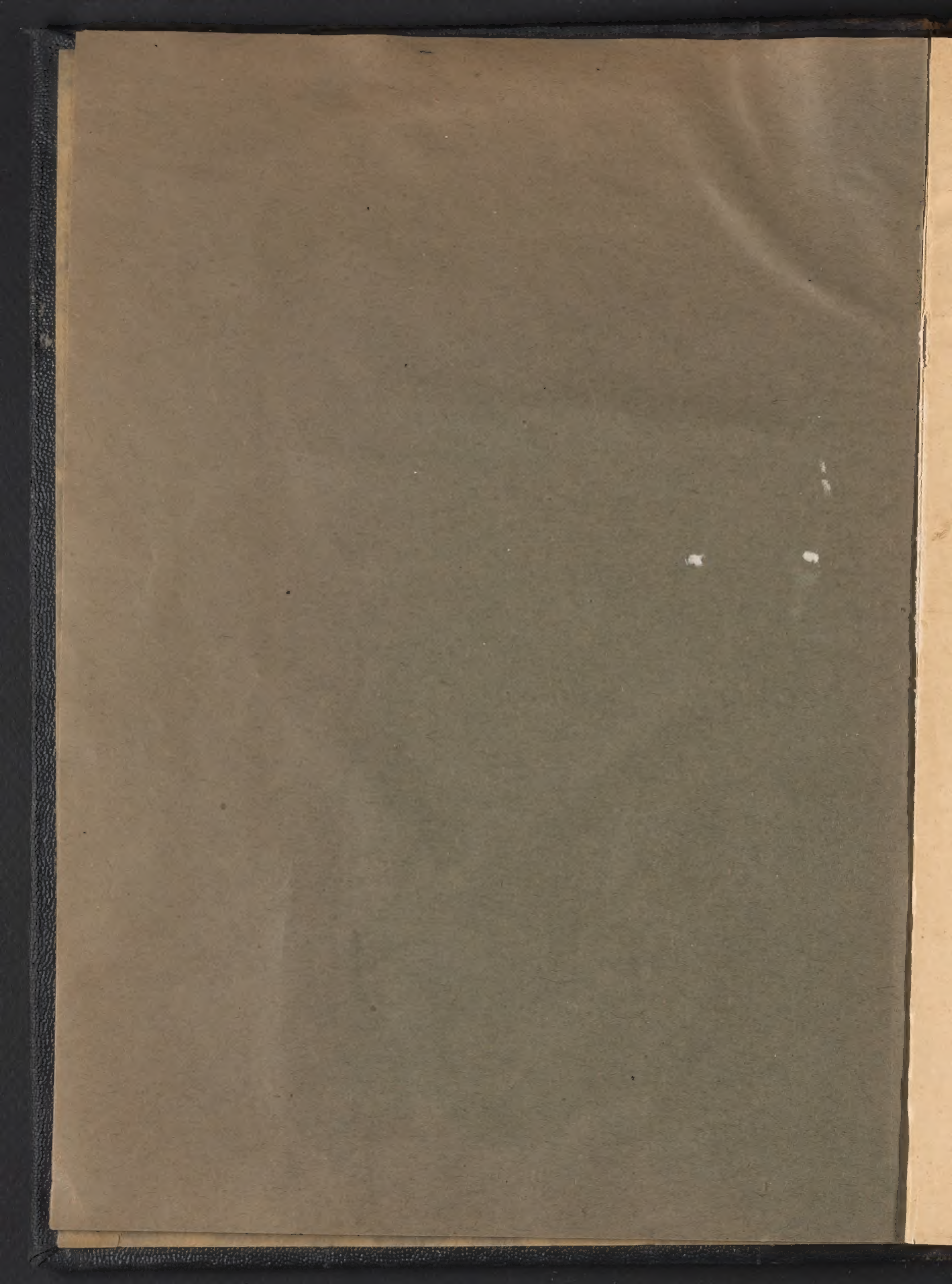
الخاتمة

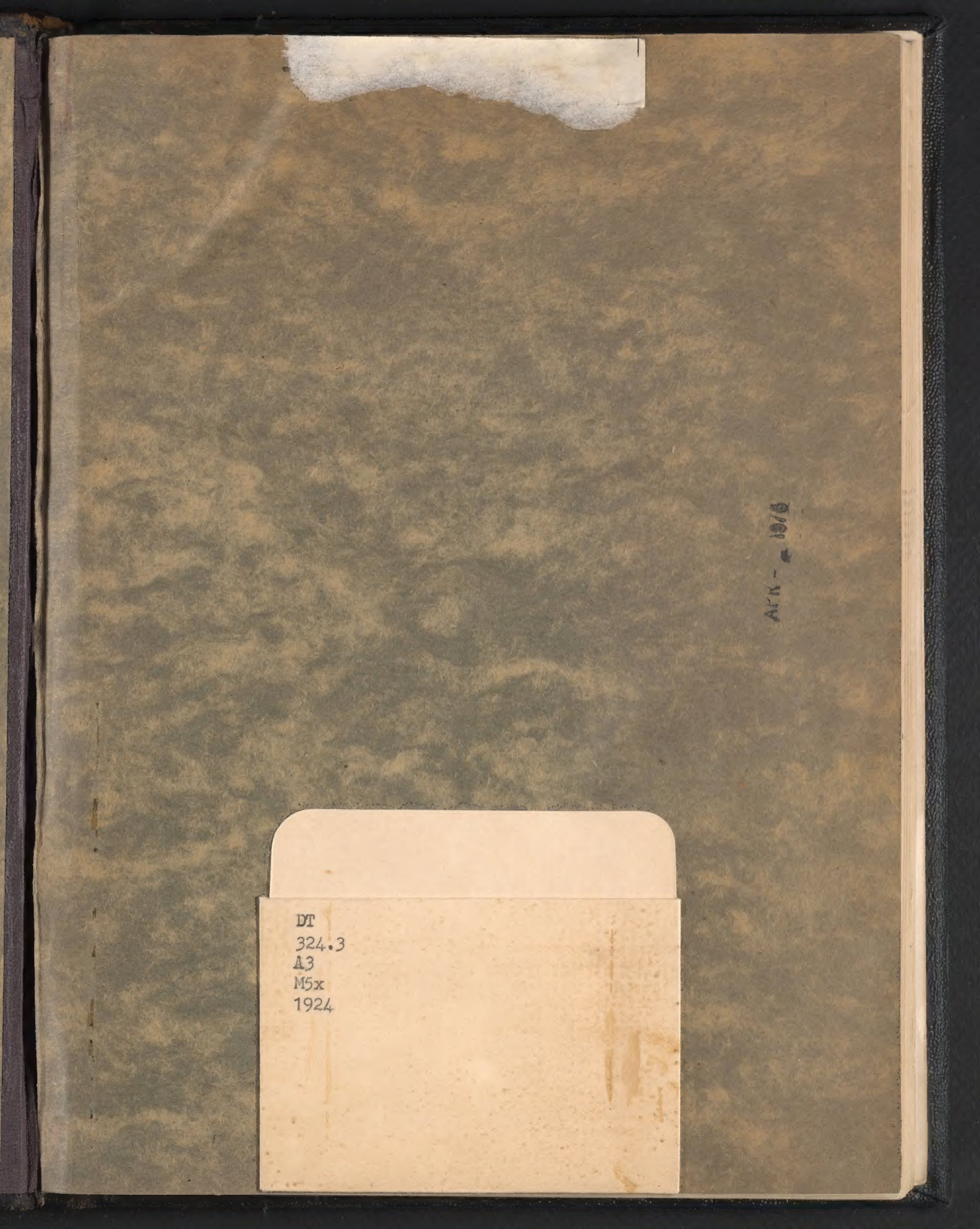
انتهينا الآن من وضع هذه الرسالة التي تتضمن سيرة بطل خالد قد قام وحفنة من رجاله تجاه دولتين قويتين قضت احداهما بالامس على ملك أجداده في ديار الاندلس. ثم جاءت اليوم تمديدها الى ابتلاع ديار المغرب ، فاصابها فى تحفزها هذا ماأصاب اليونان في الاناضول ، فقد دارت عليها الدوائر وطحنتها رحى الحرب طحناً فاصبحت تقنع بالسلامة بعد ان كانت تحلم بانشاء مستعمرة اسبانية جديدة في تلك المعالم تكون نواة لاعلاء المجد الاسباني

واننا لعلى يقين بأن العالم العربي خاصة والشرقي عامة يشعر في هذه الساعة ـ التي يصد فيها ابن عبد الكريم الاجانب عن وطنه ـ بأن دموع الاسى التي كانت تنهمر على ملك الاندلس تتبدل الى دموع فرح وسرور ، وبأن التاريخ سيخلد اسم البطل الخالد ابن عبد الكريم بين صفحاته منقوشاً بالذهب ، مقرونا بالاعجاب والاجلال . ولذلك وجب ان تحفظ ترجمة حياة الامير في الصدور ، وان يلقنها الصغير والكبير ، لتكون درساً مفيداً للامم الضعيفة وعبرة للشعوب المغلوبة على أمرها ، لتعلم ان قوة الايمان ومضاء العزيمة هي افعل في النفوس من قوة الاساطيل والدبابات والطيارات ، وان لله فى خلقه رجالاً اذا أرادوا أراد ، و« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »

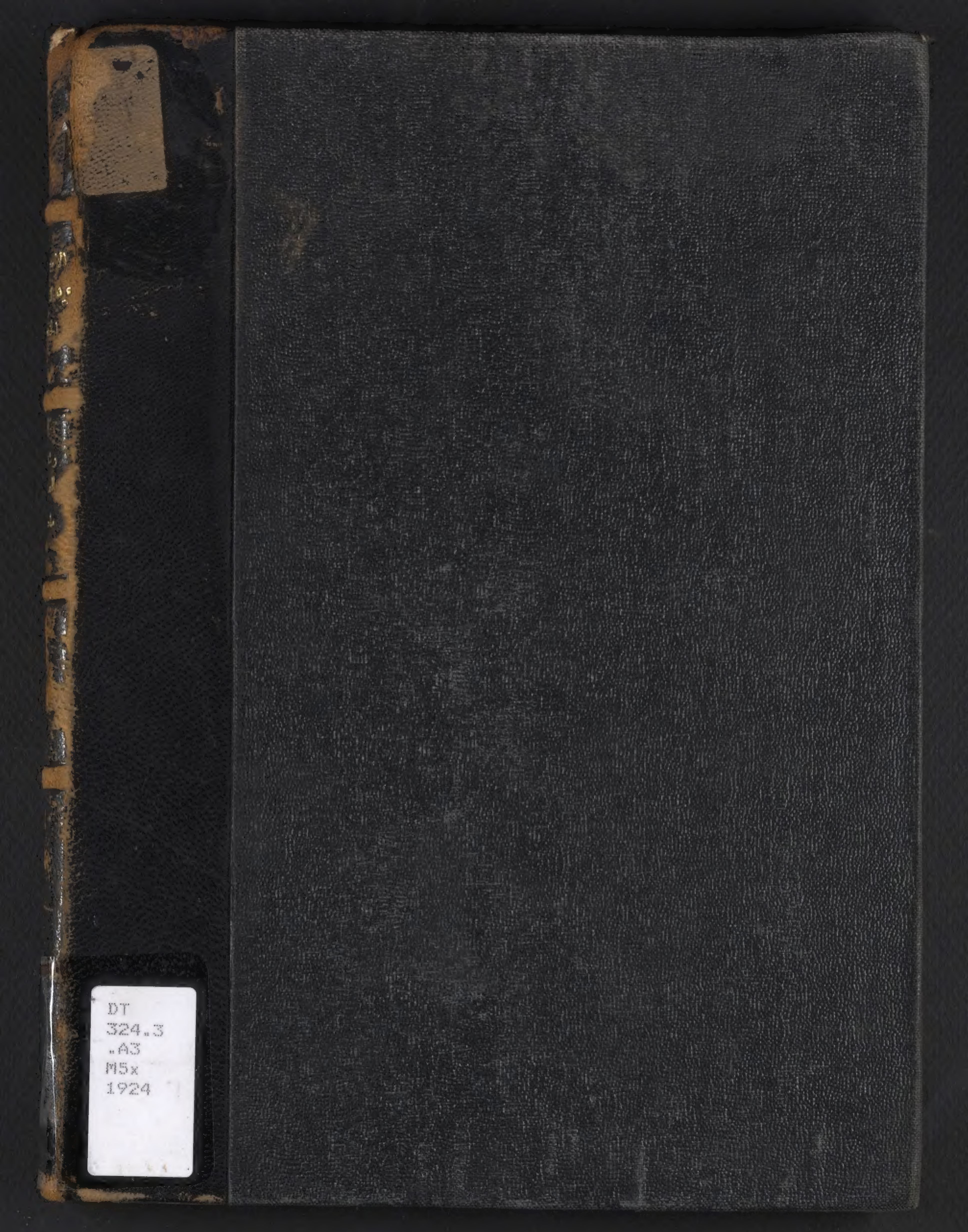


فهرس




DT
324.3
A3
M5x
1924




DT
324.3
.A3
M5x
1924